أمهاتنا

زوجات النبي ﷺ

إيمان مغازي الشرقاوي
بريطانيا

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتـــــاب: أمهاتنا

التـــــــــأليف: إيمان مغازي الشرقاوي

الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

عدد الصفحـــات: 100

عـــدد الطبعات: (الطبعة الأولى 2012)

النشـــر والتوزيع: دار البشير للثقافة والعلوم - مصر
01062836461 - 01067467492
info@Daralbasher.com
Alnahdah@Daralbasher.com
dar_elbasheer@yahoo.com
darelbasheer@hotmail.com

الإيداع القانوني : 2006/22420

الترقيـــم الدولي : I.S.B.N.978/977/278/304 /5

1433 هـ

2012 م

إهــداء

إلــى حفيــدتي.. ريحــانتي وزهرتــي الغاليــة "مِنّــة" - حفظهـا اللّه- آملـة أن تأخـذ مـنهن المثل والأسوة حينما تكبر وتشب ..

وإلى كل فتاة تبر أمهاتها زوجات النبي ﷺ بالسيرعلى طريقهن والتعريف بهن والدفاع عنهن.

وإلى كل من يبحث عن القدوة ويطلب الأسوة وينشد القرب من رسول اللّه ﷺ ..

وإلى كل فتاة حادت عن طريق أمهاتها الطاهرات وتركت الاقتداء بهن، علها توقظها من نوم وتداوي الجرح وتبريء الداء وتأتي بالدواء

أما من يتجرأ فيتطاول على عرض رسول اللّه ويتقوّل على زوجاته الطاهرات، ويتعرض لهن بالإيذاء، فأقول له..

هذه رسالتي إليك..

فتعرّف عليهن عسى أن ترجع وتفىء إلى أمر اللّه..

إيمان مغازي الشرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

أمهاتنا

إيمان مغازي الشرقاوي..
بريطانيا..

أمهاتنا .. زوجات النبي ﷺ

لهن حق علينا عظيم، فهنّ أمهات المؤمنين كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[الأحزاب:6] أَيْ فِي الحُرمَة وَالاحتِرَام وَالتوقِير والإكرَام والإعظَام. فهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

فهل يليق بالمسلم أن يجهل أمّه أو ينساها، وهل يحلّ له أن يقطعها أويعقها؟!! وهل يرضى لها بالأذى أو السوء؟ وهل يصبرعلى الخوض في عرضها أو إلصاق التهم بها وفيه عين تطرف ونفَس يتردد؟

إن مَن يدّعي صدق محبته لنبيه ﷺ فعليه أن يتعرف عليه وعلى مَن يحب من زوجات وبنات وأصحاب، فهل تحب نبيك حقا؟ إذاً حاول أن تتعرف على بعض ما نقل إلينا من سيرة زوجاته الطاهرات اللاتي هن أمهاتنا، وقد عشن مع الحبيب ﷺ في بيت واحد وتحت لحاف واحد، فزكت نفوسهن وطهرت، وسمت أرواحهن وعلت، وحسنت أخلاقهن بين يديه وعلى عينيه.. حاول أن تتعرف عليهن وتحيا مع بيت النبوة الزكي لتصدق محبتك وتزداد.

أفلا يجدر بنا أن نزور أمهاتنا ونتجول معهن في رحلة تعارف لن تكلفك إلا ما تبذل من برك لهن وشوقك إلى الصحبة الخالدة في جنات النعيم.

واحذر أثناء سيرك أن تبدل أو تتبدل فتكن سببا في فتنة نائمة لعن الله من أيقظها فتخض في عرضهن مع الخائضين، أو تقعد عن النصرة بلسانك وقلمك وقلبك، أو تتخذ من تعددهن مادة للفكاهة وسبيلا للافتراء وسببا للطعن في شرع الله ونبيهﷺ.

لقد كان زواج النبيﷺ أكثر من أربع زوجات خاصا به، كما كان من خصائصه النكاح من غير وليّ ولا شهود، وأبيح له من غير مهر أيضا وبلفظ الهبة، وأبيح له ترك القسم بين نسائه على أحد الوجهين وكان يقسم عليهن تبرعا وتكرما مكافأة على اختيارهن الله ورسوله دون زينة الحياة الدنيا. وقد تزوج كل زوجة بأمر الله تعالى ولحكمة يعلمها الله، وكلهن اخترن الله ورسوله على متاع الدنيا وزينتها، وصبرن وتحملن شظف العيش وقسوة الحياة وشدتها، وعشن معيشة الزهد والتقشف والورع الذي لا يتصوره عقل، وذلك طلبا لرضا الله وعونا لنبيه على أداء رسالته ومشاركة في تبليغها للناس، فقد كنّ جميعا رضي الله عنهن وعاء للعلم وداعيات إلى شرع الله وحافظات للدين.

كيف أبدأ؟!.. وإلى أين أنتهي؟!

وإنني لا أدري كيف أبدأ وإلى أين أنتهي، فحياتهن مع خير الخلق ﷺ أكبر من أن توفيها سطور كلماتي تلك، لكنني أخط فقط خطوطا عريضة من حياتهن تنبه وتذكّر وتوقظ من يغفل، كما أنها تضيء الطريق للعاملين، ويعلم الله تعالى كم زاد حبي لهن وكم تمنيت لقاءهن، فقد تعلمت من كل واحدة منهن، والحمد لله، وإن كنت لا أصل إلى مقام الحديث عنهن فأين الثرى من الثريا، وأين الأرض من السماء، لكنني أتشبث بحديثي هذا وأستمسك بخيوط المحبة على استحياء لعل ذكرهن وحبي لهن يشفع لي عند الله فأحظى بالقرب منهن وأحشر مع من أحب يوم القيامة.

حرمة أمهاتنا زوجات النبي ﷺ..

وزوجات النبي ﷺ لهن حرمة عظيمة ليست لأحد من النساء، فقد حرم الله نكاحهن بعد موت النبي ﷺ لقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:53] ، ويروى أن رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بعد أبي سلمة،وحفصة بعد خنيس بن

حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا ! والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه ، فنزلت الآية في هذا ، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده ، وجعل لهن حكم الأمهات . وهذا من خصائصه ﷺ تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته. قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ .

واختلف العلماء في أزواج النبي ﷺ بعد موته ، هل بقين أزواجا أم زال النكاح بالموت ، وإذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدّة أم لا؟ فقيل: عليهن العدة ، لأنه توفي عنهن ، والعدة عبادة. وقيل: لا عدة عليهن ، لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الإباحة. وهو الصحيح ، لقوله عليه السلام: **(ما تركت بعد نفقة عيالي)** وروي **(أهلي)** وهذا اسم خاص بالزوجية ، فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه ، وحرمن على غيره ، وهذا هو معنى بقاء النكاح. وإنما جعل الموت في حقه عليه السلام لهن بمنزلة المغيب في حق غيره ، لكونهن أزواجا له في الآخرة قطعا بخلاف سائر الناس ، لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة ، فربما كان أحدهما في الجنة والآخر في النار ، فبهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي

في حق النبي ﷺ وقد قال عليه السلام: **"زوجاتي في الدنيا هن زوجـاتي في الآخرة"**. وقال: **"كل سبب ونسب ينقطع يـوم القيامـة إلا نـسبي وصهري"** (1).

خير النساء.. لخير الأزواج..

وأمهاتنا.. أمهات المؤمنين رضي الله عـنهن.. هـن خير النساء، فقد اصطفاهن الله تعالى لنبيه وحبيبه ﷺ ، ولا يختار الحبيب لحبيبه إلا أفضل اختيار، آمَنّ بالله ورسوله أصدق إيمان، وعـشن مـع النبـي ﷺ ، وشاركن في بلاغ ديـن الله، أحـبهن النبـي ﷺ ، وأحسن عشرتهن، وقدم لنا ولكـل الأزواج مـن خلال سيرته العطرة معهن قيما ثابتة في التعامل مـع الزوجات من العدل والإنصاف، والقوامة والرعاية، وحسن الخلق، وأثبت للجميع على مر العصور أن المرأة جزء من المجتمع لا يتجزأ ولا غنى عنه بحال، فأكرمها، وبيّن أن لها حقوقا مكفولة بشرع الله وعليها واجبات، وأن الزواج مودة ورحمة، وعشرة بالمعروف.

لقد قدم النبي ﷺ القدوة الحسنة لكل زوج له زوجة واحدة من خلال عشرته لزوجه خديجة رضي الله عنها ، كما قدم من نفسه أعظم قدوة مع زوجاته لمن له أكثر من زوجة.

---

(1) الراوي: عبدالله بن عمر . المحدث: السيوطي – المصدر: الجامع الصغير – الصفحة أو الرقم: 6361 ، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

أحبهن جميعا حبا كبيرا، وكانت أحبهن إليه عائشة، لكن هذا الحب لم يدفعه لظلم أي منهن، بل كان يشدد على نفسه في رعاية التسوية بينهن ، تطييبا لقلوبهن ويقول: " **اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**" (1) .

وكان في مرضه الذي توفي فيه يُطاف به محمولا على بيوت أزواجه ، إلى أن استأذنهن أن يقيم في بيت عائشة. وما ضرب بيده امرأة قط، بل كان يُرضيهن مع ما هو فيه من مسئوليات عظام، وأعمال جسام، ونزل عليه القرآن آمرا الرجال بحسن عشرة النساء ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:19] ، ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ** ﴾ [البقرة:228] .



عاشَرهن رسول الله ﷺ أحسن عشرة، وكان يقول: "**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**"، وكان من أخلاقه أنه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

(1) التخريج (مفصلا): أحمد في مسنده والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] والحاكم في المستدرك عن عائشة ، تصحيح السيوطي: صحيح. يعني قلبه ، لإيثاره عائشة رضي الله عنها دون أن يكون يظهر ذلك في شيء من فعله.

يتودد إليها بذلك. كما جاء عنها أنها كانت مع النبيِّ - ﷺ - في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني. فقال: "هذه بتلك السبقة"(1).

وكان يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤانسهم بذلكﷺ. فهو الأسوة والقدوة لنا جميعا، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:21].

تربية عالية في بيت النبوة..

وفي بيت النبوة هذا سمتْ أرواحهن فلا تتطلع إلى الطين، ولا تثّاقل إليه، وحين حصلت منهن التفاتة سريعة لذلك الطين إذا بآيات التخيير تتنزل تترًا تأديبا وتربية وتهذيبا، فما مثلهن ينبغي أن ينظر إلى التراب، أو يخفض الرأس إلى أسفل، ومن كان مثلهن فلا ينبغي أن يتطلع إلى ما يتطلع إليه عامة الناس، وكانت النتيجة حاسمة وسريعة

---

(1) الراوي: عائشة . المحدث: الألباني - المصدر: صحيح أبي داود - الصفحة أو الرقم: 2578 ، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب:28،29]. فخيرهن بين الدنيا فيفارقهن ، وبين الآخرة فيمسكهن ، لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن ﷺ.

ثم تتوالى آيات التربية الربانية ليتم الارتقاء إلى المستوى الذي يليق بهن كزوجات خاتم الأنبياء ﷺ ، قدوة المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين.. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب:30-33]. قيل: لما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه ، قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن ، فضوعف لهن الأجر والعذاب.

نعم.. فالغاية أكبر من حطام الدنيا، وللاصطفاء مسئوليات، وللتكريم تبعات. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:34] فأمرهن الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن ، وما يرين من أفعال النبي عليه الصلاة والسلام ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس ، فيعملوا ويقتدوا.

نحنُ.. والبرّ بأمّهاتنا..

فلنتعرف على أمهاتنا ولنعرّف الناس سيرتهن العطرة ودورهن على طول مسيرة الدعوة، ولندفع ألسنة السوء ووساوس الشك والريب عنهن.. إن علينا أن نربي أنفسنا وأولادنا وبناتنا على نهجهن، أن نقتدي بهن في الورع والتقوى والعلم والبلاغ والزهد وحب الله ورسوله، أن نحيي ذكرهن ونذكر محاسنهن ونسمي بناتنا بأسمائهن.

ومن أجل ذلك كانت هذه السطور المتواضعة، نعيش فيها معا مع أمهاتنا رضي الله عنهن، زوجات النبي ﷺ ، عسى أن يمن الله علينا بالاقتداء وحسن التأسي، وقد ذكرت كل واحدة منهن على حدة ولم أتقيد بزمن زواج النبي ﷺ منها بل آثرت أن أبدأ بما يتيسر لي أن أعيش معها تلك اللحظات المباركات، فليس الغرض هو

السرد الزمني الذي يراعى معه البدء بالأولى فالثانية فالثالثة كما هو المعتاد عند الكتابة عنهن، وإنما اقتباس العظة واتخاذ العبرة.. لذا لم أبدأ بأمنا خديجة رضي الله عنها وإن كانت هي الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فليس هذا هو ما قصدته من وراء البحث في سيرتهن والتحدث عنهن.

هذا وأسأل الله تعالى أن يخلص نيتي وأن يتقبل مني ويغفر زلتي ويعفو عن تقصيري، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، أسأل الله تعالى فيه الغفران، ومهما كتبت فأنا المذنبة المقصرة، ولن أوفيهن ذرة من حقهن الكبير، وإنما هو جهد المقل وأضعف الإيمان عسى أن يشفع لي ذلك فأحشر معهن برحمة الله تعالى..

الفقيرة إلى عفو
الله ورحمته..
إيمان مغازي الشرقاوي..

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .. نزل الوحي في لحافها..

إذا ذكِرَ اسمها تذكرتَ كل شيء جميل، جمال خلقة وحسن خلق، عفة وطهارة، شباب ونضارة، علم وفقه، أدب وبلاغة، نسب وعشيرة.. وإذا ذكِرَتْ أي امرأة أمامها تضاءلتْ وتلاشتْ مهما علت مكانتها وذاع صيتها، فلا تستطيع أن تدانيها في مناقبها، فلا الملكات الحسان ولا الخطيبات المُفوَّهات، ولا الزعيمات القوميات أو أميرات القصور مهما بلغ شأوهن يصلن إلى ذرة مما وصلت إليه هي في الدنيا والآخرة.. ولمَ لا وقد جعلها الله تعالى زوجة لخاتم النبيين وأمّا لكل المؤمنين، ووعاء لحفظ الدين.

إنها لم تكن تملك الكمبيوتر كبناتنا، ولم تكن تذهب إلى الجامعة حتى تدرس فيها على أيدي ثلة من المعلمين والمعلمات، ومع ذلك فقد تعلمت أفضل تعليم في أفضل مدرسة حتى صارت عالمة! لم يكن ليصرفها شيء عن المهمة العظيمة التي اصطفاها الله تعالى لها وخصها بها من بين النساء، ومَن تتبع سيرتها وجدها نسيجا وحدها، إذ حباها الله بقلب حافظ وعقل واع وذاكرة قوية وذكاء حاد ولسان يجيد فن الحديث ويعرف كيف يصرف الكلمات

ويصيغها في أبهى حُللها. كل ذلك وهي حديثة السنّ، لتكون مثالا تحتذي به بناتنا وفتياتنا في عمر الشباب.

في أعظم جامعة..

لقد تعلمت في أعظم جامعة.. جامعة النبوة، فكانت طالبة متميزة وتلميذة متفوقة مؤهلة للالتحاق بتلك الجامعة، فتعلمت بخير طريق يُتعلم به، الطريق النظري حين يتعانق مع قرينه العملي، ويشارك كلا الطريقين تفتح الذهن وحسن التلقي من الطالب، والقدوة الحسنة وحسن التعليم من المعلم. وإذا تفكرتَ في حالها وجدتَ أنها لم تكن لتجلس في بيتها وتقرّ لتبدد عمرها كله في المطبخ وإعداد الطعام أو أمام المسلسلات التليفزيونية ما صلح منها وما فسد، أو على سماعة الهاتف تثرثر وتلغو، ولم تكن متجولة في الأسواق والطرقات لحاجة ولغير حاجة، ولو شاءت لفعلت! ولا متتبعة مجلات الأزياء وخطوط الموضة تقضي في ذلك جل وقتها فتجعل منها شاغلها وشغلها وهي الفتاة الشابة والجارية الصغيرة السن التي تحب الزينة والتزين شأنها شأن النساء في ذلك. لكنها لم تعش معيشة المترفين ولم تحْيَ حياتهن، بل تحملت حياة الشظف والتقشف مع النبي ﷺ واختارت الله ورسوله، وهي

القائلة: "**إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار**" [1] . ومع ذلك فقد كانت رضي الله عنها مسلمة مؤمنة، قانتة عابدة، كريمة سخية، رحيمة ودود، تقية نقية تحب الله ورسوله، ويحبها الله ورسوله. قال عروة عنها: "**كانت لا تمسك شيئا مما جاءها من رزق الله تعالى إلا تصدقت به**" وأنها "**تصدقت بسبعين ألف درهم وإنها لترقع درعها**" وأنها كانت تسرد الصوم.

إنها أمّنا..

إنها أمنا الحبيبة عائشة بنت عبدالله بن عثمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، تكنى بأم عبدالله، وتلقب بالصدّيقة، وُلدت بعد البعثة بأربع أو خمس سنوات، وتزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة وهي في التاسعة من عمرها. بنت الصدّيق، حبيبة رسول الله ﷺ ، ارتضاها الله لنبيه زوجة في الدنيا والآخرة، وجعلها تفضل جميع النساء كما يفضل الثريد كل الطعام، وهي خير قدوة لبناتنا ونسائنا، فهي المسلمة المؤمنة، الزوجة الصالحة، والبنت البارة، وأمّ المؤمنين، طبيبة حاذقة، وشاعرة لبيبة، وخطيبة فصيحة، وأديبة بليغة، نسيبة عالمة بالأنساب، فقيهة في الدين، راوية محدثة، لو وزن علمها لعلم

---

(1) رواه البخاري .

جميع النساء لوزنه ورجح عليه، مات عنها النبيﷺ ولم تتعد الثامنة عشرة من عمرها المبارك وعاشت من بعده حتى بلغت السادسة والستين، وتوفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان بالمدينة سنة 58 ودفنت بالبقيع.

نشأتها

نشأت عائشة رضي الله عنها وترعرت سنواتها الأولى في بيت أبيها الذي قال عنه النبيﷺ: **"إن من أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر"** [1] . أفضل هذه الأمة بعده.

وأمّها أم رومان بنت عمير بن عامر، أسلمت بمكة قديما وبايعت وهاجرت إلى المدينة. أما قومها **(بنو تيم)** فقد عرفوا بالكرم والشجاعة والأمانة وسداد الرأي كما كانوا مضرب المثل بالبرّ بنسائهم.

وقد تفتحت عيناها على بيت تغمره سكينة الإيمان وتشع في أرجائه أنوار الحكمة، فتشربت من أخلاق والديها، كما تفتحت على رؤية رسول اللهﷺ الصاحب والصديق الحميم لأبيها، تقول رضي الله عنها : **"لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول اللهﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية"**[2] .

---

(1) متفق عليه .

(2) رواه البخاري .

وسرعان ما انتقلت إلى بيت النبوة الراقي زوجة لخير الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، فتعلمت في صباها في مدرسته وعايشت تنزل الوحي عليه، وصارت المقربة لديه الحبيبة بنت الحبيب، حتى غدا هذا الحب واضحا في عالم الشهادة معلنا عنه مشهورا بين الأهل والصحاب إذ قال النبيﷺ: **"أحب الناس إليّ عائشة، ومن الرجال أبوها"** (1) . مما دفع أصحاب النبيﷺ أن يتحروا بهداياهم يومها إرضاء وحبا له.

فقهها وعلمها..

على الرغم من حداثة سنها إلا أنها كانت المرجع الأول في الحديث والسنة وكانت الفقيهة الأولى في الإسلام. قال الإمام الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبيﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب منها. وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها فيه

---

(1) متفق عليه .

علما. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة. وقال مسروق الهمذاني: رأيت مشيخة أصحاب رسول اللهﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض. وكان إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله [1].

لا تؤذيني في عائشة

قال عروة بن الزبير: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول اللهﷺ أن يأمر الناس: أن يهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبيﷺ ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: **"يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"** [2] . فإذا كان هذا القول يعتبر أذى للنبيﷺ فيها فما ظننا بما سواه؟

---

(1) روى عنها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وذكوان وسعيد بن المسيب وعلقمة، وغيرهم، وروت عن النبيﷺ 2210 حديثا منها 297 في الصحيحين.

(2) رواه البخاري .

وفي حادثة الإفك حينما افتري عليها في عرضها وعفتها أنزل الله قرآنه مدافعا عنها معلنا للناس براءتها إلى يوم الدين من كل سوء ينسب إليها، مبينا عقوبة من قذفها في ذلك الوقت ومن يقذفها في أي وقت، فمن آذاها ولو بكلمة فقد آذى الله ورسوله. وقد نال رجل من عائشة عند عمّار، فقال: اغرب مقبوحا منبوحا، أتؤذي حبيبة رسول اللهﷺ ؟

من مناقب عائشة

روي عنها: "أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبيﷺ فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة" [(1)]، وهي البكر الوحيدة التي تزوجها النبيﷺ.

ولم ينزل الوحي في لحاف امرأة من نسائه غيرها، وقد أقرأها جبريل السلام فقال لها النبيﷺ: **"يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام.."** [(2)] .

دعا لها النبيﷺ قائلا: "اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرت وما أعلنت..." [(3)] .

---

(1) صحيح الترمذي .

(2) رواه البخاري .

(3) الألباني .. السلسلة الصحيحة .

نزلت براءتها في القرآن الكريم، وكانت بركة علينا إذ شرع لنا التيمم بسببها.

وقد مُرِّض النبيﷺ ومات ودُفن في بيتها. تقول عائشة: **"قبضه الله بين سحري ونحري، ودفن في بيتي"**[1].

---

(1) رواه البخاري.

سَوْدَةَ بنت زمعة رضي الله عنها .. تبتغي رضا رسول الله..

إنها خير مثال تقتدي به زوجات الآباء في التعايش مع أولاد الزوج إن قدر الله لهن أن يجتمعن في بيت واحد ويعشن معا تحت سقف واحد.. فهي رمز الطِيبة والتسامح والرفق واللين والأمومة والحب. وهي الزوجة والأمّ في آن واحد. كما أن زواج النبي ﷺ منها خير مثال للأزواج عند الاختيار حينما يقدمون على الزواج وفي أعناقهم من البنين والبنات من يحتاج إلى أمّ تضمه وحضن يدفئه ويد ترعاه فكانت هي أول أمّ لبناته بعد خديجة رضي الله عنها .

إنها أمّنا سودة بنت زمعة بن عبد شمس العامرية رضي الله عنها .. أول امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد موت خديجة فكانت في بيته أمّا لبناته من بعد أمهن، من السابقات إلى الإسلام إذ أسلمت مع زوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس في بداية الدعوة الإسلامية، ومن السابقات إلى الهجرة حيث هاجرت معه إلى الحبشة، لكنه توفي عنها في مكة بعد عودتهما إليها فكان لها من الله خير العزاء إذ أكرمها بالزواج من سيد البشرية محمد ﷺ وذلك في رمضان في

السنة العاشرة من البعثة، لتصير أمّا لكل المؤمنين والمؤمنات وزوجة لنبي الله في الدنيا والآخرة.

آمنت بالنبي واتبعته..

إن الإيمان بالله ورسوله واتباع الحق والعمل به والثبات عليه لهو منّة يمنّ بها ربنا على من يشاء من عباده، فيكرمهم به في الدنيا ويرحمهم به في الآخرة، وقد نالت أمّنا سودة هذه الكرامة في الدنيا بزواجها من النبيﷺ ، وفي الآخرة بعلوّ المقام حيث تصير زوجة له في الجنة. وتحكي لنا خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قصة زواج النبي ﷺ من سودة، قالت: يا رسول الله ألا تزوج؟

قال: من؟

قالت: إن شئت بكرا أو ثيبا. قال: فمن البكر؟

قالت ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك، عائشة بنت أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة قد آمنتْ بك واتبعتك على ما تقول. قال: فاذهبي فاذكريهما عليَّ . [1] فكانت خولة بشير خير لسودة حيث ساق الله الخير على يديها لتنعم سودة بهذا الزواج المبارك بالعيش في أكرم بيت مع أعظم زوج.

---

(1) رواه أحمد .

دروس وعبر..

وفي زواج النبيﷺ من سودة دروس وعبر يمكن أن نستلهمها، فقد علمنا في هذا الزواج المبارك أن أساس بناء البيت المسلم إنما يكون على الإيمان بالله ورسوله وهذا يتضح في قول خولة (**آمنت بك واتبعتك على ما تقول**)، وأن هناك معايير ثابتة لا بد من توافرها في الزوجة عند الزواج بها وعلى رأسها الدين الذي تتلاشى أو تضعف أمامه المعايير الأخرى من قلة الحظ من الجمال الظاهر الذي يذبل مع مرور الوقت، أو قلة ذات اليد من المال الذي يزول وينفد، أو نقص في العشيرة والحسب والجاه إذ يفنى ذووه بالموت في أي لحظة. ويخطيء الزوج حين يظن أن سعادته الزوجية لن تكون إلا مع امرأة تصغره أو أخرى تكبره، أو مع الثرية الغنية، أو الجميلة الفاتنة أو الوجيهة النسيبة والشريفة الحسيبة، وإن كان هذا حسنا إن تعانق مع الدين وحسن الخلق إلا أنه ينبغي ألا نجعل منه أساس بناء الأسرة، وقد تزوج النبيﷺ زوجاته الطاهرات على تفاوت فيما بينهن في ذلك.

فالدين إذاً هو المقياس الحقيقي الذي يرفع المرء ويُعليه، وحسن العمل وصدق الاتباع إظهار لجوهر هذا الدين ودعوة إليه، أما المقاييس الدنيا التي يقيس بها بعضنا مكانة البعض فقد أراد النبيﷺ تصحيح المفاهيم تجاهها وحثنا ألا نجعل منها القاعدة الرئيسية في

الزواج فقال: **"تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولـدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"** [1] . وقال: **"تـنكح المـرأة عـلى إحدى خصال ثلاثة، تنكح المرأة على مالها، وتنكح المرأة على جمالها، وتنكح المرأة على دينها، فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك"** [2] .

تحب الرسول ﷺ.. وتبتغي رضاه..

إن من علامات حب رسول الله ﷺ أن نـؤثره عـلى أنفسنا وأهلينا وأبنائنـا وأموالنـا، كـما قـال:**"لا يـؤمن أحدكم حتى أكـون أحـب إليـه مـن والـده وولـده والناس أجمعين"** [3] . وأن نحبـه حبـا يُـترجَم في أقوالنا وأعمالنا، وأن نرجو مرافقته ومجاورتـه في الجنة، ولن يكـون هـذا إلا بالتـضحية والإيثـار، وهذا ما أرادته أمّنا سودة رضي الله عنها وحرصـت عليـه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **"كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكـان يقـسم لكـل امـرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبـت يومهـا وليلتهـا لعائشة زوج النبي ﷺ ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ "** [4] .

---

(1) رواه البخاري .

(2) الألباني .. السلسلة الصحيحة .

(3) رواه البخاري .

(4) رواه البخاري .

لقد آثرت سودة رضي الله عنها رضا النبي على رضا نفسها، وهواه على هواها، ففعلت ما يحبه هو لا ما تشتهيه هي، وما حرمتْ نفسها من المبيت معه في ليلتها إلا لهدف أسمى وهو رضاه عنها وقربها منه وخلودها معه زوجة له في دار الخلود في أعلى مقام بالجنة، كما عاينت عدله بينهن فيما يملك من نفقة وكسوة ومبيت، ولم تشأ أن تثقل عليه لشدة عدله وهي الكبيرة المسنة وقد لمست فيه حبه عائشة رضي الله عنها فوهبته ليلتها.

قالت عائشة: "كان رسول الله ﷺ لا يفضِّلُ بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها. ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها" (1).

مديح عائشة لها..

مدحتها عائشة فقالت: "ما رأيت امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة. من امرأة فيها حدة. قالت فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة. قالت يا رسول الله! قد جعلت يومي

(1) صحيح أبو داود.

منك لعائشة. فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة" [(1)].

(مسلاخها) المسلاخ هو الجلد. ومعناه أن أكون أنا هي. **(حدة)** لم ترد عائشة عيب سودة بذلك. بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة، وهي الحدة.

القانتة العاملة..

هذه هي سودة أمّ المؤمنين رضي الله عنها زوج نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، روت عنه خمسة أحاديث، عاشت عابدة قانتة زاهدة، وقد اختارت الله ورسوله حين نزلت آية التخيير فنالت البشارة من الله القائل سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب:31].

مات النبي ﷺ وهو عنها راض ، وتجرعت مرارة فراقه حين مات، وعاشت وفية على العهد من بعده حتى توفيت- على الأرجح- في آخر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فرضي الله عن أمّنا سودة وأرضاها وجمعنا معها في جنات النعيم.

❀ ❀ ❀

(1) رواه مسلم .

حفصة بنت عمر رضي الله عنها .. العابدة..الأمينة..

لقد اجتمع لها الشرف من جميع أطرافه فزوجُها هو نبي الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وخير البرية، وأبوها ثاني الخلفاء الراشدين، المبشر بالجنة، الورع الزاهد التقي النقي الذي لا ينطق إلا حقا، ولا سلطان للشيطان عليه فما سلك طريقا إلا ويهرب منه فرقا وخوفا. تعلمت الكتابة وجمعت بين العلم والإيمان والقول والعمل، فقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ستين حديثا منها عشرة في الصحيحين، كانت خطيبة مفوهة بليغة، عابدة تقية ورعة صوامة قوامة.

إنها السيدة حفصة، أمّنا وزوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، رضي الله عنها وأرضاها.

مولدها ونشأتها

ولدت حفصة بمكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات، ونشأت بين أبوين كريمين، فأبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان ترتيبه الأربعين في الإسلام، والذي قال عنه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: **"ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"**. وقد كان عمر من القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة في ذلك

الوقت، أما أمها فهي زينب بنت مظعون رضي الله عنها أخت الصحابي الجليل عثمان بن مظعون، وأما أخوها فهو الصحابي الجليل عبدالله بن عمر أكثر الناس تتبعا لآثار رسول الله ﷺ.

كانت حفصة زوجة لخنيس بن حذافة السهمي الذي كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو الوحيد الذي شهد بدرا من قومه بني سهم، وقد أسلمت معه وهاجرا إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين إليها، ثم إلى المدينة، وشهد أحدا ثم مات بعدها في دار الهجرة من جراحة أصابته في تلك الغزوة، فترملت حفصة وهي لم تزل بعد شابة في الثامنة عشرة من عمرها.

اختيار الأب زوجا صالحا لابنته..

لقد حفظ الإسلام للمرأة حقها في العيش مكرمة في ظل زوج يرعاها وأسرة تضمها وبيت يؤويها، ودعا الآباء وأولياء أمور النساء إلى إيجاد ذلك بالطرق المشروعة الميسرة دون تضييق على الزوجين.. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ .. ﴾ [النور:32]

قال القرطبي: هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح؛ أي زوجوا من لا زوج له منكم – من الرجال والنساء– فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء.

وهذا ما فعله عمر تجاه ابنته الأرملة الشابة، كما روى عبدالله بن

عمر أن عمر بن الخطاب قال: "أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئا، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها" (1) .

تأملات في زواج حفصة..

وإذا ما تأملنا الطريقة التي تزوجت بها حفصة وجدنا أن أباها لم يشعر بالحرج وهو يبحث ويختار لها زوجا صالحا ويعرض عليه الزواج منها تصريحا لا تلميحا، ولعل هذا كان سائدا في المجتمع آنذاك، لكنه على كل الأحوال قد يكون عاملا مساعدا لنا للتقليل من حالات تأخر سن الزواج وزيادة معدلات العنوسة التي تجثم بصدرها على كثير من بلداننا الآن.

---

(1) رواه البخاري .

فأين هذا الفهم الراقي لعمر من المفاهيم التي سادت مجتمعاتنا من حرج كثير من الآباء أن يختاروا لبناتهم أزواجا صالحين تصريحا أو تلميحا، خاصة في أوساط البنات اللاتي يبتعدن عن إنشاء أي علاقة مع الشباب ورعا وتقوى وخوفا من الله. وأين هذا الفهم من الأب إذا رأى من ابنته إعجابا ورضا بهذا أو ذاك فيساعدها على العفة بدلا من أن تنساق في مزالق الحب الخفي بعيدا عن العيون.

فلماذا صارت ثقافة العيب والكرامة تقيدنا في هذا الباب وقد فعلها من هو أكرم منا جميعا، الفاروق عمر رضي الله عنه ، فكانت النتيجة رائعة وهي زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بَيْدَ أن الآباء يتخوفون من ذلك لبعد هذا المفهوم عن كثير من الشباب الذين يخطئون ويظنون بتلك الفتاة الظنون، ويقتلون أباها بالنظرات جيئة وذهابا لأنه ألمح لهم برغبته في تزويجها، ينظرون إليها وكأنها فتاة خاملة كاسدة معيبة حتى يصل الحال للأسف إلى التصريح سرا وجهرا بمقولة السوء فيها، ويكون الترفع عليها وعلى والدها وكأنه ارتكب إثما مبينا. وقد يشعرها من يتزوجها منهم بالدونية ويصارحها بتساهل وليّها معه في مهرها وجهازها وسرعة تزويجها والرضا منه بالقليل وكأن أباها ارتكب منقصة لا مكرمة!.

إن الأمر لو عقلناه لوجدناه سهلا بسيطا لا يحتاج منا إلى تعقيد أو تأويل، والحياة تتطلب مرونة أكثر، وكما نقبل من الرجل أن ينهج نهج عمر فيذكر ابنته أو أخته للزواج، فلنقبل أيضا من الطرف الآخر أن ينهج نهج أبي بكر وعثمان إن لم يكن به حاجة للزواج من تلك المرأة فيعتذر برقة ولطف دون أن يجرح مشاعر أحد أو يسيء إليه، وقصة حفصة خير نموذج نحتذيه.

المتعلمة الفصيحة

وكما كان أبوها كاتبا قارئا كانت حفصة كذلك، وكأنها وجدت قدوتها فيه فأرادت أن تتشبه به، وقد جاء في (**فتوح البلدان**) للبلاذري، أن أم المؤمنين حفصة (**كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية فلما تزوجها النبي ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة**).

وهذا درس آخر نأخذه من سيرة أمنا حفصة رضي الله عنها وهو أن على الزوج أن يساعد زوجته على طلب العلم، وأن ييسر لها سبله، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع زوجه حفصة حين أراد أن تكمل ما بدأته في الكتابة، فهل يعي الأزواج ذلك؟!. لقد تعلمت حفصة وبلغ من فصاحتها أنها خطبت بعد استشهاد أبيها خطبة بليغة جامعة دونتها كتب السير.

العابدة
الزاهدة

ولم تكن حياة حفصة مع النبيﷺ حياة الترف والمترفين، بل تحملت شدة المعيشة وقسوتها وخيّرت فاختارت الصبر على ذلك وأرادت الله ورسوله والدار الآخرة، وهكذا تكون الزوجة الصالحة تعين زوجها على أداء دوره ورسالته التي يحملها، وتصبر على لأواء الحياة ومتاعبها متى كانت، وتحتسب ذلك عند الله عز وجل لتنال الجزاء الأوفى.

ولم تعرف حفصة العبث والعابثين، وما كانت مفرطة في حق ربها، وإنما تتقرب إليه بالطاعات التي كانت خيرا عليها في الدنيا والآخرة، فقد روى قيس بن زيد أن النبيﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون فبكت وقالت والله ما طلقني عن شبع – نقص- وجاء النبيﷺ فقال: قال لي جبريل عليه السلام راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة"[1]. وهذه رسالة إلى كل زوجة أن اتقي الله تعالى وتقربي إليه وهو لن يضيعك، كما أنها رسالة لكل زوج حتى يعلم أن صلاح زوجته وتقواها شافع لها عند الله تعالى أفلا يكون شافعا عنده في إمساكها بالمعروف زوجة له وإن لم يكن لها في قلبه عظيم حب،

(1) الألباني .. السلسلة الصحيحة .

فليست كل البيوت مبناها على الحب، وقديماً همّ رجل بطلاق امرأته وقال: لا أحبها، فقال له عمر بن الخطاب ﵁: أوكُلّ البيوت بُنيتْ على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟

الأمينة على المصحف ...

وقد اختيرت حفصة من بين أمهات المؤمنين بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى لتحفظ النسخة الخطية للقرآن الكريم. **"فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر"** (1) .

لم يحفظ المصحف عند أحد كبار الصحابة من الرجال! بل أودع عند امرأة! أليس في هذا تقدير للمرأة المسلمة؟ لقد عادت الموازين إلى نصابها يوم حرر الإسلام المرأة وجعل لها من الحقوق ما ليس لها في أي مجتمع، فها هي أمنا حفصة خير دليل على ذلك، فهي الزوجة الصالحة، والمؤمنة المتعلمة الداعية، العابدة الزاهدة، القوية الصابرة، الصوامة القوامة، المسئولة الأمينة، وقد مات عنها النبي ﷺ ، لكنها ظلت على العهد حافظة له من بعده حتى لحقت به في السنة الخامسة والأربعين للهجرة ودفنت بالبقيع، فرضي الله عن أمنا حفصة وجمعنا بها في جنات النعيم.

---

(1) رواه البخاري .

زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .. أمّ المساكين..

نالت شرف الانضمام إلى زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، مع أنها لم تمكث مع النبي ﷺ زوجة له إلا بضعة شهور، إذ تزوجها في السنة الثالثة للهجرة وماتت في السنة الرابعة، ليضاف إلى شرف زواجها من رسول الله ﷺ شرفا آخر، ألا وهو موتها في حياة النبي ﷺ وصلاته عليها ودعاؤه لها ودفنها في البقيع، لتكون أول زوجة من زوجاته تدفن في هذه البقعة الطاهرة.

إنها أمنا زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .. شريفة الحسب والنسب من جهة أبيها ومن جهة أمها، فأبوها خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو، من بني هلال، وأمها هند بنت عوف. وذكر المؤرخون أنها أخت ميمونة بنت الحارث لأمها هند، وقد تزوج النبي ﷺ فيما بعد ميمونة في السنة السابعة للهجرة.

زواجها

لقد أسلمت السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها مبكرا، وتزوجت من عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، وقد استشهد رضي الله عنه في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة.

تزوجها النبي ﷺ بعد أن ترملت، وضمها إلى زوجاته إكراما لها، فانتقلت إلى بيته ﷺ وعنده من الزوجات عائشة وسودة وحفصة رضي الله عنهن، لتصير زينب بذلك أمّا للمؤمنين ولتنعم بالعيش في أعظم بيت مع أفضل زوج.

لقبها الذي اشتهرت به ...

اشتهرت أمنا زينب رضي الله عنها بطيبة القلب والعطف والحنان والرقة، وقد علتْ هذه الصفات فيها وزاد معدلها حتى غدتْ واضحة بينة في سلوكها وأعمالها ولا سيما مع هذه الفئة الضعيفة من الناس، ألا وهي فئة الفقراء والمساكين والضعفاء التي لا يُعمَل لها حساب ولا يأبه لها كثيرون خاصة في ذلك الزمان الذي كانت السيادة فيه للقوي الغني! وقد لفت النبي ﷺ أنظارنا إليهم فقال: "...**فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**"(1) .

لكن السيدة زينب رضي الله عنها كانت بالنسبة لهؤلاء الضعاف عاملَ مساعدة وعون، وقوةً دافعة على مواصلة طريق الحياة الصعب بالنسبة لهم. لذا فإن مجرد سماعنا اسم أمّنا زينب بنت خزيمة ليذكرنا بما يجب علينا تجاه هذه الشريحة التي ابتلاها الله تعالى بالفقر

---

(1) رواه أحمد.

والجوع، والتي تعاني ما تعانيه في صمت في غالب الأحيان إما عفة منهم أو ضعفا وقلة حيلة، وإن اسمها ليوجب علينا أن نفعل ما فعلته هي تجاههم من كسر حاجز الصمت بينها وبينهم حين جعلت من نفسها أمّا لكل مسكين، فكانت حجرتها مقصد الفقراء والمساكين والمحتاجين والمحرومين، حتى غدت تلقب بهم وتكنّى، وهي لا تجد في نفسها غضاضة من أن يقترن اسمهم بها فتصير أمّ المساكين جميعا يقصدونها ليجدوا عندها من عطف الأمومة وشفقتها ما لا يجدونه عند غيرها، وهي الشريفة الحسيبة النسيبة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تواضع ذاتها ونقاء قلبها وحبها الخير.

درس لنا جميعاً ...

إنه درس لنا جميعا، ولا سيما الزوجات والبنات والنساء، فقد قال النبيﷺ لهن داعيا: "**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**" (1) وقال: "**تصدقن ولو من حليكن**" (2) .

إن المرأة قد تنفق معظم مالها على أدوات الزينة والعطور والملابس والكماليات، تنفق بسخاء تُحسَد عليه، ولو أنصفتْ نفسها لاتخذت من

(1) رواه البخاري .
(2) رواه البخاري .

السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها قدوة لها في حب الخير والصدقة والإنفاق على المساكين ووجوه الخير. فهلا أضافت المرأة منا إلى جانب نفقتها على نفسها كفالة يتيم أو مداواة مريض أو مساعدة فقير أو عونَ محتاج، أو إعالة أرملة؟ إذاً لكان لها هذا العمل خيرا وفكاكا لرقبتها من النار، ألم يقل النبي ﷺ: **"تصدقوا، فإن الصدقة فكاككم من النار"** (1) .

وفاتها ...

أكرم الله تعالى السيدة زينب بهذا الزواج المبارك وقد نالت به شرف الصحبة في الدنيا والآخرة، ولا شك أن النبي ﷺ أحبها لحبها المساكين فكانت الكرامة لها في الدارين.

لكنها رضي الله عنها لم يطل عمرها في بيت الزوجية إذ جاءها اليقين الذي لا مفر منه في موعده المقدر لها، ولم يشفع لها آنذاك صغر عمرها، فماتت وهي شابة في الثلاثين من العمر، فالموت حق علينا جميعا لا يدفعه عنا حبيب ولا يدفعه إلينا عدو، لأن الله تعالى يقول ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[يونس:49].. جاءها الموت ورسول الله ﷺ قريب منها، فلم يستطع أن يمدّ في عمرها شيئا، لأن الله تعالى يقول له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزُّمَر:30].. جاءها

---

(1) رواه الطبراني، وحسنه السيوطي.

الموت لتفارق زوجها وحبيبها رسول الله ﷺ أحب الناس إلى قلبها، ليعلم الناس جميعا أن النبي ﷺ إنما هو بشر يدلنا إلى الله.. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:110] ولو كان بيده دفع الموت عنها وعن أحبابه لفعل، لكن الله تعالى أمره أن يعلمنا ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[يونس:49] .. أتاه جبريل عليه السلام فقال له: **"يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به..."** (1) فلا يغتر الصغير منا لصغر عمره، ولا ينخدع كبيرنا لطول أجله، فالجميع إلى الله راجعون ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:26،27] ..



ولئن فارقت زينب رسول الله ﷺ بالموت ولم تعمر معه في الدنيا إلا قليلا، ولئن تألم النبي ﷺ لفقدها وواراها التراب بنفسه، فإن اللقاء الأبدي والخلود السرمدي لهما معا في المقام الأعلى في جنات النعيم حيث لا فراق ولا موت. فرضي الله عن أمّنا زينب

---
(1) رواه الحاكم، وصححه السيوطي.

بنت خزيمة زوجة نبينا محمد - ﷺ - في الدنيا والآخرة، وجمعنا معها برحمته في الجنة.

أم سلمة ﵂ .. الزوجة الحكيمة..

إذا ذكِرَتْ ذكِرَ معها الإيمان والثبات، والصبر والتضحية، والحكمة والعقل، والرأي السديد.. انتقلت إلى بيت النبي ﷺ زوجة له بعد أن ترملت باستشهاد زوجها بجرح له أصابه في غزوة أحد ظن أنه التأم، لكن الله تعالى كتب له الشهادة، كما كتب لها أن تصير من بعده أمّا للمؤمنين وزوجة لنبي الله في الدنيا والآخرة، وداعية إلى دينه على مر العصور، وقد تنزل الوحي في بيتها، وروت 378 عن رسول الله حديثا وكانت تعد من فقهاء الصحابة.

إنها أمّنا أم سلمة ﵂ .. هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم، ولدت سنة 28 قبل الهجرة، في أسرة عريقة ذات مجد ونسب، كان أبوها سيد قومه معروفا بالكرم والسخاء، فكان يكفي كل من يسافر معه مؤنة سفره من زاد وماء حتى لقب بزاد الركب. وهي بنت عم خالد بن الوليد، وبنت عم أبي جهل بن هشام، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانية، لكنها سبقتهم جميعا إلى الإيمان، فأسلمت مبكرا مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم الذي كان أخا للنبيﷺ من

الرضاع وكانت أمّه عمّة رسول الله ﷺ.

المهاجرة الصابرة ...

هاجرت هي وأبو سلمة مع السابقين الأوائل إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة، ولما أذن في الهجرة إلى المدينة كانا من السابقين إليها، لكن الله تعالى ابتلاها في هجرتها، فلم تستطع مغادرة مكة معه إذ انتزعها قومها بنو المغيرة منه وغلبها بنو عبد الأسد على ولدها فتنازعوه مع قومها حتى خُلعت يده، وتروي كتب السيرة أنها قالت: (**مضى زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، وفرق بيني وبين زوجي وابني، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها**).

وبعد أن ذاقت حرارة الشوق وطعمت ألم الفراق كتب الله لها اللقاء بزوجها، فهاجرت بابنها إليه لتكون أول من هاجر إلى المدينة من النساء.

دعوة أبي سلمة

روى ابن سعد في الطبقات عنها أن أبا سلمة دعا لها قبل موته: "اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات أبو سلمة قلت من هذا الذي هو خير من أبي سلمة؟!

وحين أقف أمام هذه الكلمات الرائعة لا أدري ممن أتعجب، أَمِن أبي سلمة ودعائه وحبه لها وخوفه

عليها، أم مِن حبها هي لأبي سلمة وعظم قـدره ومنزلتـه في قلبهـا حتى أنها لم تر أحدا من الرجال يكافئه أو يحل محله في نفسها، فلـم تكن تعلم حينئذ أن خير البريةﷺ سيخطبها لنفسه.

أين دعوة أبي سلمة تلك من حكر بعض الأزواج عـلى زوجتـه الزواج بعده إن طلقت أو ترملت، بـل إن بعـض الرجـال يقـسم عليها ألا تتزوج حتى تموت، فما الحال لو كانت بحاجـة إلى العفـة والعفاف والرعاية والسكن؟!

وأين قول أم سلمة من أقوال بعض النساء حين لا يتورعن عن ذكر أزواجهن بكل منقصة، ويـسترن الجميـل مـن فعـالهم أحيـاء وأمواتا ويكفرن العشير؟!



أما عن صبرها فتروي وتقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: "**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها - إلا أجره الله في مصيبته. وأخلف لـه خـيرا منها**". قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كـما أمـرني رسول اللهﷺ. فأخلف الله لي خيرا منـه. رسـول الله ﷺ (1).

---

(1) رواه مسلم.

في بيت النبي ﷺ

تقدم كبار الصحابة لخطبتها لكنها اعتذرت، وحين خطبها النبيﷺ قالت له: "ولكني امرأة فيّ غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن، وأنا ذات عيال. فقال: **"أما ما ذكرتِ من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل منك، وأما ما ذكرتِ من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرتِ من العيال فإنما عيالك عيالي"**.

قالت: فقد سلمت لرسول اللهﷺ ، فتزوجها رسول اللهﷺ [(1)].

وتم الزواج في شهر شوال في السنة الرابعة للهجرة. ودخلت أم سلمة بيته وعاشت معه عيشة الكفاف وتحملت خشونة الحياة، وخُيّرت فيما بعد مع أزواجه فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة.

دروس من الزواج المبارك

وحين نمعن النظر في زواج أم سلمة من النبيﷺ فإنا نجد فيه من الدروس والمعاني الكثير ومن ذلك:

الصراحة والأمانة قبل الزواج: وهذا من أسباب استقرار الحياة الزوجية فيما بعد ودوام المحبة والألفة بين الزوجين.

خطورة الغيرة الشديدة على الحياة الزوجية: وإلا لما دعا النبيﷺ بذهابها عنها، فالغيرة من الزوجة مقبولة

---

(1) رواه أحمد.

شريطة الاعتدال فيها، كما أن على الزوج مراعاة ما جبلت عليه من تلك الغيرة فلا يدفعها إليها دفعا، وللأسف فإن بعض الأزواج يخطيء حين يكثر من مديح غيرها أو يقارن بينها وبين ضرتها، ويسعد عندما تأكل الغيرة قلبها بل ويتلذذ بذلك! وهذا ليس من حسن العشرة في شيء.

رعاية الولد: خاصة إن كانت المرأة أرملة وكان زواجها الجديد فيه إضرار بأولادها الصغار الذين هم في حاجة لرعايتها، فهنا يجدر بها أن تصبر وألا تتزوج حتى لا يضيعوا، وفي الحديث: "**أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها مالك ومن أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي**" [(1)] .

ضم الزوج أولاد زوجته الأيتام إليه وتربيتهم وفضيلة كفالة اليتيم: وهذا ما كان من النبي صلى الله عليه حين قال لأم سلمة "**فإنما عيالك عيالي**" ولو اقتدى الأزواج به في ذلك لكفل أيتام كثيرون وعُوضوا عن فقد آبائهم بأب بديل راع هو زوج أمهم، وهذا من مكارم الأخلاق، لكننا للأسف نجد من يشترط على الزوجة إما هي وإما أولادها الأيتام، ويعلنها صراحة إن أرادت ضمهم إليها فيقول لقد تزوجتك ولم أتزوج أولادك! فماذا لو كانت هذه الزوجة هي ابنته أو أخته أو زوجته من بعده؟!

---

(1) المنذري .. الترغيب والترهيب .

المجاهدة الصابرة.. والزوجة الحكيمة..

لقد صحبت أم سلمة النبي ﷺ في غزوة خيبر، وفي فتح مكة، وفي غزوة هوازن وثقيف، وحصار الطائف، ثم في حجة الوداع. وكانت امرأة حكيمة عاقلة، تراعي أحوال زوجها وما يعانيه من مشاق الدعوة ومتطلباتها فتعينه عليها بصبر وحكمة، ولا تبخل بجهد من قول أو فعل، وكانت خير مثال للزوجة الصالحة الحكيمة، فحين صحبته إلى مكة معتمرا مع أصحابه ومنعوا من دخولها وتم صلح الحديبية، أمرهم أن يتحللوا من إحرامهم فشق عليهم أن يرجعوا دون أداء عمرتهم. وذكر لها النبي ﷺ هذا فقالت له: **"يانبي الله، أتحب ذلك، اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل غما"**(1) .

قال الحافظ ابن حجر: "وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية، تدل على وفور عقلها وصواب رأيها".

---

(1) رواه البخاري .

شاوروهن وخالفوهن !!

قال السيوطي: وأما ما اشتهر على الألسنة من خبر (**شاوروهن وخالفوهن**) فلا أصل له، وقال الزرقاني: باطل لا أصل له. وقال السخاوي: لم أره مرفوعا.

نعم.. ففِعل النبيﷺ يبطله، فقد أخذ وهو أفضل الخلق وأكملهم بشورى زوجته أم سلمة، وأثبت بهذا أن للمرأة رأيا محترما وفكرا ناضجا، وكأن في ذلك دعوة للأزواج ألا يهملوا رأيها وأن يستمعوا إليها، وما يضير الرجال في أن يشاوروا أمهاتهم وزوجاتهم، وأخواتهم وبناتهم ويستمعوا لهن ولا سيما فيما يتعلق بأبنائهن وبناتهن وشئون الأسرة، وما يضرهم إذا أخذوا بشوراهن في ذلك وغيره ما كانت صوابا وخيرا، وها هي القدوة تتمثل في فِعل النبيﷺ ، ليس في زماننا الذي نزعم فيه تحرر المرأة، بل في زمن قريب العهد بوأد المرأة جسدا وفكرا، لكن الإسلام حررها ورفع قدرها وأعلى من شأنها واحترم رأيها، ألا يحتاج الذين يقولون شاوروهن وخالفوهن، وينسبون ذلك زورا لنبي الله، أن يراجعوا أنفسهم ويضعوا الموازين في نصابها ويعيدوا للمرأة حقها.

هل "طاعة المرأة ندامة"؟! ..

وهذه حجة أخرى يستدل بها من لا يعرف قيمة المرأة ويحط من قدرها، فيظن أنها إنسانة قاصرة التفكير دائما، عاجزة عن الرأي

أبدا، بعيدة عن الحكمة دوما، وقد ذكر الألباني أن هذا الحديث موضوع، وقال ابن الجوزي: لا يصح. وضعفه السيوطي.

وفي هذا الحديث، وفيما رواه العسكري عن عمر أنه قال: (**خالفوا النساء، فإن في خلافهن البركة**) جاء في الجامع الصغير للإمام السيوطي: (**وقول عمر** رضي الله عنه **هو في كل ما هو من وظائف الرجال كالأمور المهمة، ولا يؤخذ منه مخالفتهن على إطلاقها فذلك خلاف العقل والحكمة، وإنما يفهم منه عدم التحرز من مخالفتهن إذا رأى الرجل خطأهن، فإن في مخالفتهن حينئذ البركة. ومردّ ذلك شدة ضعف الرجال من قبيل النساء، وسهولة ذهاب لبّ العاقل بسببهن، فنبهوا في هذا الحديث وأمثاله إلى ذلك الضعف، كما نبهوا مثلا في القرآن وفي أحاديث أخرى إلى فتنة المال والبنين. أما موافقتهن في أمور الخير، ومشاورة المرأة الصالحة، فلا ندامة في أمثالها**).

هذه هي أم سلمة

قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **"أنت وابنتك من أهل البيت"**.

وقد شبت ابنتها زينب في رعايته فكانت من أفقه نساء زمانها، وزوّج النبي صلى الله عليه وسلم ابنها سلمة من أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب.

توفيت بالمدينة سنة 61 هـ بعد أن عاشت نحوا من تسعين سنة. ودفنت بالبقيع. فكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. .

زينب بنت جحش رضي الله عنها .. الشريفة.. الكريمة.. طويلة اليد..

هي أمّ المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، ابنة عمة النبي ﷺ وحفيدة عبد المطلب جدّ النبي ﷺ ، أمها أميمة بنت عبد المطلب، وخالها سيد الشهداء وأسد الله حمزة بن عبد المطلب، أما أخوها فهو عبدالله بن جحش صاحب أول راية عقدت في الإسلام.

وقد زوجّها الله تعالى لرسوله ﷺ ، وأنزل في زواجها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

كانت رضي الله عنها من السابقات إلى الإسلام، ومن المهاجرات الأول.. ورعة تقية، محبة للصدقة، رحيمة بالفقراء، كما كانت فقيهة محدثة، روت عن النبي ﷺ 11 حديثا.

زواجها من زيد بن حارثة

زوّجها النبي ﷺ حِبّه ومولاه زيد بن حارثة، الذي كان ابنا له بالتبني، وكان من أحب الناس إليه، وقد تزوجته زينب طاعة لأمر الله ورسوله، ولم تستقر الحياة بينهما فكان النبي ﷺ يقول لزيد **"أمسك عليك زوجك"** حتى أذن الله في طلاقها منه ليقضي الله أمرا أراده لعباده، إذ أمر نبيه ﷺ أن

يتزوجها بعد انقضاء عدتها من متبناه زيد، وَهِيَ الَّتِي يَقُوْلُ اللهُ فِيهَا: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[الأحزاب:37].

وقد كان زيد يُدعَى زيد بن محمد، وكان العرب ينسبون إليهم من الأولاد ما ليس من أصلابهم، ويدعونهم لغير آبائهم، ويتحرج الرجل منهم من الزواج من امرأة متبناه، فأنزل الله بذلك قرآنا يرفع ذلك الحرج عنهم "﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾[الأحزاب:37] كما حرم انتساب الولد إلى غير أبيه، وقال: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:5] ..

في بيت النبي ﷺ

صارت زينب بزواجها من رسول الله ﷺ في السنة الخامسة للهجرة أمّا للمؤمنين، فكان زواجا مباركا، إذ تزوجت بأمر الله بلا وليّ ولا شاهد، وكانت تشعر بذلك الفضل الذي شرفها به وتقول: (**إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ ، إنهن زوجن بالمهور، وزوجهن الأولياء، وزوجني الله ورسوله، وأنزل فيّ الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدل ولا يغير**).. وتفخر على

نساء النبي ﷺ وتقول "**إن الله عز و جل أنكحني من السماء**" [1] ، وتقول"**زوَّجكنَّ أهاليكنَّ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات**" [2].. ولها الحق كل الحق أن تفخر بهذا الزواج الخالد في كتاب الله تعالى.

وفيها نزلت آية الحجاب

ومنذ زواج زينب رضي الله عنها من رسول الله ﷺ فُرض الحجاب على نسائه، وهن أطهر النساء. قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ [الأحزاب:53]. قال أنس بن مالك: (أنا أعلم الناس بهذه الآية ، آية الحجاب; لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ صنع طعاما ، ودعا القوم ، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله ﷺ في البيت ، وجعلوا يتحدثون ، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يدخل وهم قعود ،

---

(1) رواه النسائي .

(2) رواه البخاري .

قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ إلى: "**فاسألوهن من وراء حجاب**" قال: فقام القوم وضرب الحجاب) [(1)].

وقال القرطبي: (فِي هَذِهِ الآيَة دَلِيل عَلَى أَنَّ الله تَعَالَى أَذِنَ فِي مَسْأَلَتهنَّ مِنْ وَرَاء حِجَاب فِي حَاجَة تَعْرِض ، أَوْ مَسْأَلَة يُسْتَفْتَيْنَ فِيهَا ، وَيَدْخُل فِي ذَلِكَ جَمِيع النِّسَاء بِالْمَعْنَى...).

وفي هذه الآية دروس وعبر وآداب، ومن ذلك: أن لا يثقل الزائر على المَزور وألا يكون ضيفا ثقيلا عليه بطول مكثه عنده، فيعطله عن مشاغله ويوقعه في الحرج والمشقة خاصة إن كان حييا.

ومنها فرضية الحجاب على المرأة المسلمة، وفضيلة غض البصر من الرجال والنساء. وجدير بكل مؤمنة أن تمتثل أمر الله تعالى في ذلك، فهذا حفظ لها وكرامة، ولسنا أفضل من زوجات النبيﷺ ، وقلوبنا ليست أطهر من قلوبهن ولا أطهر من قلوب الصحابة الأبرار، فالحجاب عفة وطهارة وهو ليس خاصا بنساء النبي كما يدّعي البعض حين يخطيء فهم النصوص أو يؤولها حسب ما يهوى، وإن كانت هذه الآية تخصهن بالذكر، فإن الله تعالى يقول في غيرها من الآيات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(1) تفسير القرطبي .

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:59] ويقول : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ .... ﴾ [النور:31] .

زينب .. الورعة التقية..

ومن المواقف الخالدة لزينب رضي الله عنها موقفها الورع من عائشة وحديث الإفك، فلم تخض مع الخائضين بل ضربت مثالا رائعا يحتذى به في أوقات الفتنة. تحكي عائشة فتقول: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري "**ما علمت؟ أو ما رأيت؟**" فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري. والله ما علمت إلا خيرا. وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ. فعصمها الله بالورع" (1) .

ألا فلتنظر كل زوجة إلى تلك العلاقة الرفيعة بين زوجات النبي ﷺ والتي يغلفها الحب والورع والتقوى، مع ما في نفوسهن من الغيرة المحمودة التي فطرت عليها المرأة لكنها لم تدفعهن لغيبة أو أذى بالفعل أو بالقول.

---

(1) رواه مسلم .

العابدة.. العاملة.. طويلة اليد

كما كانت زينب عابدة عاملة.. قالت عائشة عنها: "ولم أرَ امرأة قط خيرا في الدين من زينب. وأتقى لله. وأصدق حديثا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى" [1] . فكانت رضي الله عنها تعمل بيدها وهي النسيبة الشريفة، لتنفق حصيلة عملها على الفقراء والمحتاجين، بلا منّ أو أذى. وهي التي خصها النبي ﷺ بقوله: **"أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا"**. فقد روي عن عائشة أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن له: **"أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: أطولكن يدا. فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد: أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة"** [2] .

وقالت عنها أم سلمة: (كانت زينب لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة قوامة صوامة، صناعا وتتصدق بذلك كله على المساكين).

وكانت لا تستكثر نفقة تنفقها في سبيل الله، فعَنْ بَرْزَةَ بِنْتِ رَافِعٍ، قَالَتْ: **(أَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى زَيْنَبَ بِعَطَائِهَا، فَقَالَتْ: غَفَرَ اللهُ**

(1) رواه مسلم .
(2) رواه البخاري .

لِعُمَرَ، غَيْرِي كَانَ أَقْوَى عَلَى قَسْمِ هَذَا. قَالُوا: كُلُّهُ لَكِ. قَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ! وَاسْتَتَرَتْ مِنْهُ بِثَوْبٍ، وَقَالَتْ: صُبُّوهُ، وَاطْرَحُوا عَلَيْهِ ثَوْباً. وَأَخَذَتْ تُفَرِّقُهُ فِي رَحِمِهَا، وَأَيْتَامِهَا؛ وَأَعْطَتْنِي مَا بَقِيَ؛ فَوَجَدنَاهُ خَمْسَةً وَثَمَانِيْنَ دِرْهَماً. ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكْنِي عَطَاءُ عُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا).

طويلة اليد حتي بعد الموت ..!!

توفيت زينب رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة وقالت حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، ولعل عمر سيبعث إليّ بكفن فتصدقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا دليتموني أن تصدقوا بحقوي - إزاري - فافعلوا.

وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وشيعها أهل المدينة إلى البقيع، فكانت أول من مات من نساء النبي ﷺ بعده.

قالت عائشة حين بلغها نعيها: (لقد ذهبت حميدة متعبدة، مفزع اليتامى والأرامل).

زوجة نبينا في الجنة..

وقالت: (يَرْحَمُ اللهُ زَيْنَبَ، لَقَدْ نَالَتْ فِي الدُّنْيَا الشَّرَفَ الَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ شَرَفٌ، إِنَّ اللهَ زَوَّجَهَا، وَنَطَقَ بِهِ القُرْآنُ، وَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ قَالَ لَنَا: (أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوْقاً: أَطْوَلُكُنَّ بَاعاً). فَبَشَّرَهَا

بِسُرْعَةِ لُحُوْقِهَا بِهِ، وَهِيَ زَوْجَتُهُ فِي الجَنَّةِ).

فرضي الله عن أمنا زينب بنت جحش وجمعنـا معهـا في جنـات النعيم.

❀ ❀ ❀

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .. الكاملة.. الطاهرة..

حين أبدأ حديثي عنها يتوقف اللسان عجزا عن وصفها، وحينما يخط القلم حروفه على استحياء لبيان فضلها تتصارع حروف الكلمات خشية أن لا تفي بحقها، فوالله إن حقها على الأمة الإسلامية لعظيم، وفضلها أكبر من أن يحكي عنه إنسان، لكن النية من وراء الحديث عنها تشفع لنا إن نسينا أو أخطأنا، والحب الذي نحمله لها بين جوانحنا هو الدافع لذكرها والتنعم بصحبتها من خلال سطور هذه الكلمات.

لقد كملتْ حين نقصتْ النساء، وآمنت إذ كفر الناس، وواست في زمن الغربة، وأنفقت حين عَزّ الإنفاق، وصدّقت يوم كان التكذيب هو السمة السائدة في ذلك الزمان، وكانت الحضن الدافيء لنبينا ﷺ قبل أن يُبعث، ثم للرسالة الربانية التي رفع الله بها قدرها وأعلى ذكرها.

إنها أمّي وأمّك، السيدة خديجة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ ، وحبيبته، وأمّ أولاده وشريكة دعوته وقرينة كفاحه، المبشَّرة من فوق سبع سماوات ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب، الداعية إلى الله تعالى.

الطاهرة سيدة نساء قريش ..

هي أمّنا خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، كنيتها أم هند، ويلتقي نسبها بنسب النبيﷺ عند جدهما الرابع قصي، أما أمها فهي أم فاطمة بنت زائدة. وقد ولدت خديجة بمكة قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة.

وقد تزوجت مرتين باثنين من سادات العرب وأشرافهم وهما عتيق بن عابد المخزومي وولدت له هندا، ثم مات عنها فتزوجت أبا هالة التميمي وولدت له بنتا وولدا.

وكانت السيدة الأولى في المجتمع آنذاك حيث توصف بسيدة نساء قريش، ولم يمنعها شرفها أن يكون لها دور في المجتمع الذي يضمها وهي ذات المال والثروة، لذا نراها تشارك في دوران مالها ونمائه بالتجارة، ولم تكن لتبذره هنا وهناك، بل كان لها تأثير في دفع عجلة الحياة الاقتصادية بتجارتها الكبيرة في وقت كانت غالبية النساء لا رأي لهن ولا كلمة ولا ذمة مالية، وكانت تجارتها ميمونة عليها ومن الأسباب التي جمعت بينها وبين النبي ﷺ ، حيث قال له عمه أبو طالب ذات صباح: (**يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا وألّحت علينا سنون منكرة، وليس لنا مال ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر**

خروجها إلى الشام، وخديجة تبعث رجالا يتجرون في مالها ويصيبون منافع، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما تعلم من أمانتك وطهارتك...).

الزواج المبارك

- **يا محمد**: ما يمنعك أن تتزوج؟
- **"ما بيدي ما أتزوج به"**.
- فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب؟

كانت هذه كلمات الصديقة المخلصة (**السيدة نفيسة بنت منبه**) تخطب بها ودّ النبيﷺ ، وتشير إلى رغبة صديقتها خديجة في الزواج منه بطريقة راقية، وفعلا تم القبول وكانت العروس في الأربعين من عمرها بينما كان النبي ﷺ في الخامسة والعشرين، ولم يكن فارق السن أو المستوى المالي بالعقبة التي تقف في طريق الزوجين، فالكفاءة الأخلاقية تتحطم أمامها كل العقبات، لذا فقد تم الزواج على بركة الله بيسر وسهولة وذلك من يُمنها وبركتها، فتزوجت الطاهرة سيدة نساء قريش من الصادق الأمين خير فتيان مكة، فكانا نعم العروسان، لتبدأ خديجة رحلتها ويظهر صدق معدنها النفيس مع الزوج قبل أن يُبعث.

الزوجة الصالحة

كانت خديجة نعم الزوجة لزوجها، فقد فرّغته لربه حتى يُصنع على عينه ويتم الاصطفاء، لم يكن وجود الأولاد بالعائق الذي يحول بينها وبين زوجها، ولا بينها وبين رسالته التي لن تبدأ إلا بالخلوة الروحية واقترانها في بعض الأوقات بالخلوة الجسدية، حيث حُبب إليه التعبد في غار حراء شهرا كاملا من كل عام، فكانت خير معين له بعد الله على أن ينأى بنفسه عن الحياة العابثة التي يعيشها الناس من حوله، حيث تمور دنياهم وتصخب بالانحطاط العقلي والخواء الروحي، وتطفح بالأوثان والخمور والميسر والنساء، وتنقضي باللهو واللغو والعبث، ولا تخلو من الكدر والشوائب والإعاقات، وكثيرا ما تتأجج بالعصبية والقبلية البغيضة التي لا بد من اعتزال مجتمعها ولو لزمن يسير.

المؤمنة الحكيمة

وحين نزل الوحي على النبي صلى الله عليها وسلم كانت خديجة المؤمنة الأولى دون تردد، وأنزل الله تعالى على قلبها الثبات الذي ظهر في تعاملها مع الأمر بحكمة فاقت الخيال، وظهر ذلك في حسن صنيعها وذكر زوجها بكل جميل وحسَن تثبيتا لقلبه **"كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل**

الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[(1)] .

وفي أوقات المحنة يظهر صدق المحبة، وفي أوقات الشدة يتجلى دور الزوجة، وعند المواقف الصعبة تظهر النوايا وتتكشف، وتفصح عنها الأقوال والأعمال، فهل يعي الأزواج والزوجات ذلك؟



وإنه لمن الأجدر بكل مسلم أن يحيا مع سيرة أمه الأولى خديجة رضي الله عنها ، وتالله سيسعد ويفوز لأنه سيخرج من تلك الدورة التربوية بدروس عظيمة لا حصر لها، هي أكبر من أن تدونها هذه السطور. إنها دروس لكل مسلم مهما كان دوره وحاله، فقد جمعت خديجة بين جميع الأحوال في منظومة فريدة من نوعها قلّ أن توجد في عالم الإنسان.

وإذا ما فتحنا كتاب حياتها خرجنا منه بشتى العبر، هي إذاً رسائل ترسلها لنا سيرتها العطرة على طول الطريق.

---

(1) رواه البخاري .

رسائل قصيرة .. من سيرة أمنا خديجة

إلى كل زوجة عاملة: لا يمنعك عملك من رعاية ولدك وحسن التبعل لزوجك فقد كانت خديجة زوجة عاملة وهي داخل بيتها.

إلى كل زوجة ذات مال ويسار: لا تبخلي بمالك في عون زوجك فهو أحق الناس ببرك وصلتك.

إلى كل زوج: لا ضير إن كنت تعمل في مال زوجك وتنميته بالطرق المشروعة ولا حرج أن تشاركها بجهدك فقد باشر النبيﷺ تجارة زوجه خديجة وعمل فيها فكان خير راع لها وأمين.

إلى كل مَن مات عنه ولده: اصبروا واثبتوا فقد فقدت أمنا خديجة ولديها القاسم وعبدالله فصبرت واحتسبت.

إلى كل مَن يرى الحق ويتردد في قبوله والالتزام به: هذه أمك خديجة كانت المؤمنة الأولى بالله ورسوله.

إلى كل مَن تقاعس عن العمل في سبيل اللّه وبخل بماله وجهده: هذه أمك خديجة عملت وأنفقت ودعمت وثبتت وجاهدت.

إلى كل مَن ضعف في دعوة الحق: دع عنك الضعف والخور فهذه أمك خديجة حوصرت في شعب أبي طالب وماتت شهيدة من أثر حبسها، فصبرت وما وهنت.

إلى كل زوجة تريد القدوة: خذيها من أمك خديجة في حسن الرعاية للزوج، فقد كانت تعيش همه وتشاركه هدفه، وتذكر محاسنه، وتعدّد مزاياه.

إلى كل مَن تريد الوصول إلى قلب زوجها: هذه أمك خديجة انظري ما فعلت حتى رزق حبها وسمى عام موتها بعام الحزن.

إلى كل مَن رزقت الذرية وتريد أن توازن بين حق الزوج وحق الولد: اتخذي من أمك خديجة القدوة في ذلك.

إلى كل مَن تقدم لخطبتها صاحب الدين والخلق لكنه قليل المال: تزوجيه على بركة الله، ولا يكن الأثاث والرياش والبيت والسيارة في قمة أولوياتك، وسيغنيه الله من فضله، وخذي قدوتك من أمك خديجة.

جزاء الإحسان

لقد خلد الله تعالى ذكر أمّنا خديجة فدخلت تاريخ البشرية من أعظم أبوابه، حيث كانت لنبيناﷺ الزوج والأم والأخت والجار والصاحب والصديق، فعاملها بإحسانها إحسانا وزيادة، وفي هذا رسالة لكل زوج يقدر جهد شريكته فلا ينسى معروفها ولا يجحد فضلها في حياتها ولا ينساها بعد مماتها. وها هوﷺ يؤكد فضلها إلى يوم الدين، روت عائشة رضي الله عنها : كان النبيﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء، قالت فغرتُ يوما فقلت ما أكثر

ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيرا منها. قال **"ما أبدلني الله خيرا منها وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني وآستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء أيضا"**(1).

وكان يقول:"خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة بنت خويلد" (2)، **"كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد..."** (3)

ويقول: "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون" (4) .

وظل النبيﷺ وفيا لها بعد مماتها.. تقول عائشة: "ما غرتُ على نساء النبيﷺ إلا على خديجة. وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول اللهﷺ إذا ذبح الشاة فيقول **"أرسلوا بها إلى أصدقاء**

---

(1) رواه ابن كثير .. البداية والنهاية .

(2) رواه البخاري ومسلم .

(3) الراوي: قرة بن إياس المزني . المحدث: ابن كثير - المصدر: البداية والنهاية - الصفحة أو الرقم: 3/ 127.. خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح إلى شعبة وبعده.

(4) الراوي:أنس بن مالك . المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الترمذي - الصفحة أو الرقم: 3878.. خلاصة حكم المحدث: صحيح .

خديجة" قالت، فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟ فقال رسـول الله ﷺ **"إني قد رُزقتُ حبّها"**[1] .

أفضل نساء أهل الجنة

قال النبي ﷺ **"أفـضل نـساء الجنـة خديجـة بنـت خويلد، وفاطمة بنت محمـد، ومـريم بنـت عمـران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"** [2]

فهذه هي خديجة زوج النبـي ﷺ ، أم أولاده القاسـم وعبـد الله (**سـمي بالطيـب والطـاهر**) وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، حـريّ بنـا أن نحبها وأن نسمي بناتنا باسمها تيمنا بها.

وقد ظلت رضي الله عنها الزوجـة الوحيـدة في حيـاة النبـي ﷺ إلى أن ماتت رضي الله عنها ، **روي عن عائشة،** قالـت: لم يتـزوج النبـي ﷺ عـلى خديجة حتى ماتت" [3] وقد توفيت أمنا خديجة رضي الله عنها بمكـة قبـل الهجرة بثلاث سنوات، ودفنـت بـالحجون، ونـزل رسـول الله ﷺ قبرها ودفنها بيده.

بشرها النبي ﷺ في حياتها بالجنة، روى البخاري ومسلم في

---

(1) رواه مسلم .

(2) التخريج (مفصلا): أحمد في مسنده والطبراني في الكبـير والحـاكم في المـستدرك عن ابن عباس. تصحيح السيوطي: صحيح .

(3) رواه البخاري .

صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب (لؤلؤ مجوف) لا صخب فيه ولا نصب".**

وقال عنها: "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون" [1]

(1) رواه أحمد.

رَمْلة بنت أبي سفيان رضي الله عنها زواج في غربة المَهجر..

إنها ربيبة الجاه والسلطان، وسليلة العز والشرف، الرشيدة العاقلة ذات الرأي الحصيف. فأبوها أبو سفيان الذي كان سيد مكة وزعيم المشركين فيها، وصاحب كلمتها، وأخوها معاوية الذي قالت عنه أمه هند ثكلته أمّه إن لم يَسُدْ إلا قومه. ولدت سنة 25 قبل الهجرة، ونشأت في مكة، وعايشت تنزل الوحي على قلب الصادق الأمين فيها، وشاهدت موقف أبيها منه ومن رسالته ﷺ ، لكنها لم تكن إمّعة تتابع أباها على عناده وكفره، بل أسلمت لله وآمنت برسوله بعد أن شرح الله صدرها للإسلام.

النسب الشريف

هي أمنا رملة بنت صخر بن حرب بن أمية، تكنى بأم حبيبة، من بنات عم النبي ﷺ ، تلتقي معه في نسبها إلى عبد مناف بن قصي، وليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

تعرضت رملة للفتنة مرتين، وللغربة مرتين، أولاهما في مكة، فأبوها أبو سفيان لم يكن آنذاك كافرا فحسب، بل كان رئيس الكفار وزعيمهم في حرب النبي ﷺ ورأسهم المدبر مع قرنائه من عتاة المشركين كأمثال أبي جهل والوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة وغيرهم من أصحاب الصولة والجولة، الذين كانت تجمعهم عداوة النبي ﷺ ، وتحركهم الأحقاد والعداوات، ويدعوهم الحسد والبغي إلى الكفر به وجحود نبوته، وكان من السهل أن تفتن رملة وتنضم إلى أبيها في تلك الحرب الشرسة، كما فعلت زوجه هند، لكن رملة لم تجعل لأحد منهم سلطانا على عقلها وقلبها ودينها إذ آمنت بالله ورسوله، فكانت بإيمانها غريبة بينهم، وما أقسى أن تعيش غريبا وسط أهلك، لكنها قطعت حبال غربتها تلك بغربة أقسى تهون في سبيل الحفاظ على العقيدة التي تؤمن بها، فهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الذي أسلم هو الآخر إلى الحبشة في الهجرة الثانية فرارا بدينهما، فهون عليها زوجها مفارقة الأهل والوطن، وما أصعب الثبات في زمن الفتنة.

تعرضتْ للفتنة مرتين ..

أما الفتنة الثانية فقد كادت أن تعصف بها لولا أن منّ الله عليها بالثبات فيها والخروج منها بنجاح، فبينما كانت رملة في

أرض المهجر تقاسي أحزان الغربة وتنازعها أشواق العودة، وتطمع في إسلام أبيها، إذا بحدَث يهز كيانها هزا، فقد ارتد زوجها وخلا بها شريك هجرتها وأنيس غربتها، وترك دين الإسلام مرتدا على عقبيه، بل وحاول أن يفتنها ويردها عن دينها، فضاعف ذلك من غربتها، ثم مات مرتدا لتتجرع آلام الوحدة وفجيعة الردة، ومعاناة الغربة هي وابنتها الصغيرة **"حبيبة"**، وما أقساها من غربة، لكنها ثبتت على دينها وصبرت على ترك أهلها ووطنها فعوضها الله خيرا، و **"ما ترك عبد شيئا لله لا يتركه إلا له، إلا عوضه الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه"** [1] .

بين الثبات والفتنة

إن الثبات حال الفتنة أمر ليس بالسهل، والفتنة تطل برأسها بين الفينة والفينة وتتلون كالحرباء، وقد **"كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"**[2] . قد يصبر المسلم على الفتنة وقد لا يصبر، قد يتحول بلسانه مُكرَها من شدة الأذى لكن القلب ثابت ثبات الجبال الرواسي كما حدث من عمار بن ياسر رضي الله عنه ، فيما رواه

---

(1) أبو نعيم .. حلية الأولياء .

(2) رواه الترمذي .

البيهقي أن عمار سبّ النبيﷺ وذكر آلهة المشركين بخير فشكا ذلك إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير. قال" **كيف تجد قلبك؟**" قال مطمئنا بالإيمان فقال "**إن عادوا فعد**" وفي ذلك أنزل الله "**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**".

وفي حال الفتنة أيضا يجوز للمسلم أن يأبَى كما كان بلال رضي الله عنه يأبَى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى أنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أحَد أحَد، ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدا رسول الله؟

فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على ذلك.

وأمنا أم حبيبة لم تكن لتفعل ما فعل زوجها فترتد، ولم تهتز فترجع إلى أبيها فتعلن كفرها بلسانها كعمار، كما أنها لم تكن لتعود إلى مكة فتعرض نفسها للتعذيب كي تثبت كبلال، لذا فقد آثرت البقاء غريبة في أرض الحبشة حتى يأتي أمر الله.

جائزة الثبات

وجاءها الفرج من الله، وها هي جائزة الثبات تطرق بابها في أزهى حللها، وإذا بها لا تصدق أذنيها إذ طرق سمعها تلك الرسالة من نجاشي الحبشة:

(إن الملك يقول لك: وكّلي من يزوجك من نبي العرب، فقد أرسل إليه ليخطبك منه!).

ومن بعدها كلماته أمام إخوانها من المهاجرين: (إن محمد بن عبد الله كتب لي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان......... وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار)، كان ذلك في السنة السابعة للهجرة وكان عمرها آنذاك سبعة وثلاثين سنة.

وقبضت أم حبيبة جائزة الثبات عاجلة لتصير أمّا للمؤمنين بعد أن أصبحت زوجة لنبي الله ﷺ ، مع ما ينتظرها من البشارة في الآخرة، لكن الله تعالى لم يكتب لها أن تلتقي بالنبي الزوج إلا بعد بضع سنين، فرجعت إليه بعد أن طاب له المقام في المدينة، وتزامن وقت عودتها مع فتح خيبر، فكان احتفال المسلمين في المدينة بعودتها هي والمهاجرين من الحبشة وبفتح خيبر معا.

موقف وتعليق

ولرملة موقف يستحق أن نتوقف أمامه طويلا، ذلك أنه لما قدم أبو سفيان على رسول الله ﷺ طوَتْ

رملة عنه فراش الرسولﷺ ، فقد كان أبوها على شركه، فقال: **"أي بنية، والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول اللهﷺ وأنت رجل مشرك نجس، فلا أحب أن تجلس على فراش رسول اللهﷺ ".**

إنه موقف يحسب لها في كفة إيمانها، فأبو سفيان جاءها ودخل بيتها فجأة يطلب شفاعتها عند زوجها رسول اللهﷺ لتجديد الهدنة بعد نقض قريش صلح الحديبية، لم تكن أم حبيبة قد رأت أباها منذ هاجرت، كان من الممكن أن تقوم فتعتنقه وترحب به، لكنها في موقف صعب وحساس للغاية فها هو عدو الله يقف أمامها وجها لوجه، وها هو مَن قاتل رسول الله ﷺ سنوات عدة، وها هو مَن كان سببا في إخراجها مع غيرها من المسلمين، إنه يريد أن يجلس على فراش النبيﷺ! فليكن الواقف هو أبوها أو غيره فلن يمسّ هذا الفراش جسد ملوث بدماء إخوانها من المسلمين، ولن تلمسه يد رفعت السيف في وجه نبي اللهﷺ وناصبته العداء، و ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ...﴾ [المجادلة:22]

فهم خاطيء

لكن بعضنا قد يفهم موقف أم حبيبة من أبيها فهما خاطئا ويحاول أن يُنزله على واقعه وحاله بمثابة النص، ويتخذه مثالا وحجة لسوء معاملة الوالدين غير المسلمَين، أو الوالدين العاصييْن ، ويحتجّ به على عقوقه، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[لقمان:15]

وقد قدمت "قتيلة" على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها، فسألت عائشة النبيﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8] فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها" (1) .

ولو أنصف هذا الابن وأحسن فهم موقف أم حبيبة لعلم أن أبا سفيان كان حتى ذلك الموقف محاربا لله ورسوله، وأنه لم يأل جهده في قتال المسلمين، وأن عداوته ظاهرة ومعلنة بالقول والفعل والأذى والبطش، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ

(1) رواه أحمد .

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:9]. لذا فإن ما فعلته أم حبيبة هو ما يدعو إليه الحال في تلك الساعة، لتضرب لنا أعظم المثل في حب الله ورسوله، حبا فاق حب النفس والأهل، وقد كافأها الله تعالى فيما بعد وأقر عينها بإسلام أبيها أبي سفيان رضي الله عنه، وزوجه هند.

التقية النقية

هذه هي أمّنا أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، أم المؤمنين وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ، عاشت مع رسولنا صلى الله عليه وسلم تقية نقية، وروت عنه خمسة وستين حديثا، وظلت على العهد من بعده.

لما حضرتها الوفاة دعت عائشة رضي الله عنها فقالت: **"قد يكون بيننا ما بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك"** فقالت عائشة: **"غفر الله لك كل ذلك، وتجاوز وحلك من ذلك"** فقالت : **"سررتني سَرك الله"**، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك..

توفيت رضي الله عنها سنة 44 هـ ودفنت بالمدينة المنورة.

صَفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها قمرٌ في حِجْرها !

إنها عقيلة بني النضير وسيدة قومها، ينتهي نسلها إلى هارون أخي موسى عليهما السلام، أبوها زعيم يهود بني قريظة حيي بن أخطب، وأمها برة بنت شموال القرظية.

حين تزوجها النبيﷺ كان عمرها سبعة عشر عاما، ولكن مع صغر سنها فقد تزوجت قبله من رجلين، الأول سلام بن مشكم القرظي وقد فارقها، والثاني كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وقد قتل عنها يوم خيبر.

اختارت الإسلام ورسول الإسلام

إنها أمّنا وأمّ المؤمنين جميعا صفية بنت حيي بن أخطب زوج رسول اللهﷺ ، كانت من سبايا غزوة خيبر ووقعت في سهم دحية الكلبي، فأعطاه النبي ﷺ جارية غيرها، وخيّرها بين الإسلام ويتزوجها، أو اليهودية ويعتقها، فاختارت الإسلام ورسول اللهﷺ.

ولعلها تذكر عندما هاجر النبيﷺ ونزل قباء رآه عمها وأبوها، ورجعا مهمومَين، وتحكي صفية وتقول: سمعت

عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم. قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت.

ولعلها أيضا تذكرت الرؤيا التي رأت في منامها أن قمرا وقع في حجرها ولما قصتها على زوجها كنانة بن الربيع في ذلك الوقت لطمها لطمة لا زال أثرها يرى على وجهها وقال لها: إنك تتمنين أن تكوني زوجا لمحمد ملك الحجاز؟!.

وما كان للنبي ﷺ أن يكرهها على ترك اليهودية، فرسالته التي أرسل بها تقول: **"لا إكراه في الدين"**، لكنها اختارت الله ورسوله برضاها وإرادتها -بعد أن هداها الله لذلك- وكان زواج النبي ﷺ منها هو غاية التكريم لها، فهي سيدة قومها وبنت سيدهم.

الزواج المبارك

وتحكي أمنا صفية عن حالها وتقول: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من أحد أكره إليّ منه، قتل أبي وزوجي وقومي، فقال ﷺ: "يا صفية، أما إني اعتذرت إليك مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي كذا وكذا، وقالوا في كذا وكذا، وما زال ﷺ يعتذر إليّ حتى ذهب ذلك من نفسي، فما قمت من مقعدي، ومن الناس أحد أحب إليّ منه ﷺ.

وأعرس رسول اللهﷺ بها أثناء عودته إلى المدينة من خيبر، فامتنعت منه أولا ثم طاوعته، فلما سألها عن سبب إبائها أولا فقالت: إنها خشيت عليه قرب اليهود، فأعرس بها رسول اللهﷺ ، وبات أبو أيوب يحرسه ليلا ويدور حول خبائه.

لقد ضرب لنا النبيﷺ بزواجه من صفية مثلا طيبا في حسن التعامل مع الناس على اختلافهم، والاندماج والتعايش مع مَن حوله تعايشا سلميا طيبا ما لم تدع ضرورة إلى غيره، فتزوج من صفية بعد أن أسلمت، مع أن إسلامها لم يغير من أصلها اليهودي، تزوجها رغم أذى أبيها وعمها له وللإسلام وأهله وقد قتلوا قصاصا وعدلا، لكنها أسلمت، و**"الإسلام يجُبّ ما قبله والتوبة تجُبّ ما قبلها"** [1]، تزوجها ولم يعاملها معاملة الانتقام مع القدرة عليه، ولم ينتقم من أبيها في شخصها، فالله تعالى يقول: **"ولا تزر وازرة وزر أخرى"** بل كان حنونا معها مقدرا مشاعرها معتذرا إليها حتى صار أحب الناس إلى قلبها، ولنا فيه المثل والقدوة فلا ينبغي لزوج أن يأخذ زوجته بجريرة أبيها أو خطأ أمها أو أهلها وذويها ما دامت هي لا ترضى بالخطأ ولا تقره بل تتبرأ منه.

---

(1) رواه الشوكاني .. فتح القدير .

صفية في بيت النبي ﷺ

عاشت صفية زوجة لرسول الله ﷺ مكرمة، والنبي ﷺ يحاول جاهدا أن لا تشعر بغربة وسط زوجاته، وقد دخل عليها يوما فوجدها تبكي، فسألها: "**ما يبكيك؟**" قالت: بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه. فقال رسول الله ﷺ لها: "ألا قلت لهما: كيف تكونان خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد؟!

وحين قالت السيدة عائشة للنبي ﷺ: "حسبك من صفية كذا وكذا- تعني أنها قصيرة- قال لها: "**لقد قلت كلمة لومزجت بماء البحر لمزجته**" (1) .

نعم.. فلقد علمنا الإسلام أن المسلم أخو المسلم وأن لهذه الأخوة حقوقا يجب أن تؤدى دون النظر إلى جنس أو لون أو عرق أو طبقة أو أصل، فقال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، "**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"(2) .

---

(1) غاية المرام، صححه الألباني .

(2) صحيح الترغيب .

لكن الشيطان يقف بالمرصاد ليوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، كما قال النبيﷺ: **"إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم"** [(1)]. وفي بعض الأحيان لا يغفر الإنسان لأخيه زلته ولا ينسى أصله ويشك فيه ويتهمه ويظن به ظن السوء.

ومن ذلك أن جارية لأمنا صفية أتت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن صفية تحب السبت وتصل اليهود! فبعث عمر رضي الله عنه إليها يسألها عن ذلك، فأجابت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأمّا اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها، ثم انثنت إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل ذلك الافتراء، فأجابتها قائلة: الشيطان، فقالت لها صفية رضي الله عنها : اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

لقد علمت أمنا صفية هذه الجارية درسا لن تنساه فقابلت إساءتها بالإحسان، وتهمتها بالحلم، فلم تغضب لنفسها، بل عفت وصفحت وضربت لنا المثل في دفع السيئة بالحسنة، وكانت ممن قال الله فيهم **"والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس"** ولِمَ لا والله يحب منها ذلك، كما أنها زوجة رسول اللهﷺ.

---

(1) صحيح الترمذي .

هذه هي أمنّا صفية ...

أمنا وأم المؤمنين - رضي الله عنها - أحبت النبي ﷺ، وشهد لها النبي بصدق حبها له، فعن زيد بن أسلم قال: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددتُ أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن، فقال: مَضْمِضْن، فقلن من أي شيء؟ فقال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة" (1) .

كما كان لأمنا صفية دور كبير في نشر العلم الذي تلقته من رسول الله ﷺ ولا سيما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فقد روت عن النبي ﷺ عشرة أحاديث، وروى عنها ابن أخيها، ومولاها كنانة، والإمام زين العابدين بن الحسين، ومسلم بن صفوان في عدد من حفاظ التابعين رضي الله عنهم.

وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة سنة 50 هـ، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين، ف رضي الله عنها وأرضاها.

---

(1) ابن حجر العسقلاني .. الإصابة .

جُوَيرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها اختارت الله ورسوله..

إذا ذكِرَتْ في قومها فثمّ البركة تذكَر، فقد كانت سببا في عتق أكثر من مائة أهل بيت منهم. إنها سيدة قومها وابنة سيدهم، فأبوها الحارث بن أبي ضرار سيد قومه من بني المصطلق.

ولدت قبل الهجرة بخمس عشرة سنة، وتزوجت من ابن عمها مسافع بن صفوان، الذي قتل يوم المريسيع سنة 6هـ.

كان اسمها برة فسماها رسول اللهﷺ جويرية، وقد أسلمت وحسن إسلامها، وحجت واعتمرت مع رسول اللهﷺ ، كما أنها روت عنه سبعة أحاديث في كتب السنة، وروى عنها عبدالله بن عباس وابن عمر وغيرهما.

مع سبايا بني المصطلق

بلغ النبيﷺ أن بني المصطلق -وهم من حيّ خزاعة- يجمعون الجموع لقتاله، بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار بن حبيب المصطلق الخزاعي، فخرج إليهمﷺ ومعه من نسائه عائشة بنت أبي بكر، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع، فكان قتال انتهى بهزيمة بني المصطلق، وسيقت

نساؤهم سبايا، وفيهن برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب سيد القوم وقائدهم، أو جويرية كما سماها رسول الله ﷺ.

وهكذا وقعت جويرية بنت سيد بني المصطلق في محنة الرق وقيد السبي، ويا لها من محنة.

اخترتُ الله ورسوله ﷺ

جاءت قلقة مهمومة، وخرجت الكلمات من بين شفتيها والأمل يراودها في أن تجد لمشكلتها حلا، ووقفت بباب النبي ﷺ تبثه شكواها وحيرتها وهي السيدة في بنات قومها، قالت في ضراعة: أنا بنت الحارث بن ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخْفَ عليك، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على أمري.

فقال ﷺ: أو خير من ذلك؟

قالت: وما هو؟ قال: أؤدي عنك وأتزوجك. قالت: نعم، فتزوجها، وكانت بنت عشرين سنة.

وفي رواية: "... فجاءه أبوها فقال: يا محمد، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها، فإن ابنتي لا يُسبَى مثلها، فخلّ سبيلها. قال النبي ﷺ: "**أرأيتَ إن خيّرتها، أليس قد أحسنت؟**" قال: بلى، فأتاها أبوها فذكر لها ذلك. فقالت: اخترتُ الله ورسوله.

ويروى أيضا: أن أباها جاء إلى النبيﷺ ومعه فداء ابنته، وكان هذا الفداء خمسين جملا، فأعجبه جملان منها فغيبهما في شعب من الشعاب، فلما رآه النبيﷺ ، ونظر إلى الإبل، قال: أين البعيران اللذان غيبتهما في شعب كذا وكذا؟ فوقع الإيمان في قلب الرجل، فشهد لله بالوحدانية، وشهد لمحمدﷺ بالرسالة.

وتم الفداء ودُفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت، فخطبها رسول اللهﷺ فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم.

محنة من ورائها مِنحة

مَن ينظر لتلك الواقعة فإنه يمتلىء قلبه رضا واطمئنانا لما يحصل له من أقدار الله تعالى، فالإيمان واليقين ينطقان بذلك، وإن أقدار الله تعالى كلها لنا خير، وإن بدا للإنسان بقصر نظره ونقص علمه أنها شر، وإن ظن أنها ابتلاء فهذا مما يدعوه للصبر، وإن أيقن أنها محنة من ورائها جائزة ومنحة في الدنيا والآخرة فإن ذلك يجعله راضيا بالقدر خيره وشره حلوه ومره، فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يستقيم إيمان العبد بدونه ولا تهدأ له حياة إن فقده!

لقد علمتني قصة أمنا جويرية أن المحن تفرز المنح، وأن الصبر مع دفع الشر عن أنفسنا بأسباب الدفع يورث الرضا ويثمر الحب.

لقد كان قدر الله تعالى بالنسبة لجويرية خيرا عظيما، فكانت محنة السبي، ومصيبة الهزيمة سببا في أن تؤمن بالله ورسوله، ثم التحول من السبي إلى مقام عال رفيع حيث تنضم إلى أمهات المؤمنين، ثم تتويج إسلامها وزواجها بالصحبة الدائمة في الدنيا والآخرة زوجة لنبي الله ﷺ.

كما كان من المِنح أيضا ما نال قومها من خير عظيم، فقد أسلم أبوها وأسلم كثيرون من قومه، وكانت منحة زواجها بالنبي ﷺ سببا لحرية السبايا من بني المصطلق أصهار النبي ﷺ ، حيث لم يتحمل الصحابة على نبيهم أن يكون أصهاره في الرق، وهم الذين لا يحبون أن تصيبه شوكة وهو جالس في بيته وسط أهله. فقد أعتق يومئذ أكثر من مائة أهل بيت من بني المصطلق، وكان ذلك بمثابة هدية الصحابة للنبي ﷺ وزوجه جويرية عند الزواج، فكانت المحنة من ورائها أكثر من منحة. لذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها، أي من جويرية.

فنتعلم من أمنا جويرية

حينما خيرت أمنا جويرية رضي الله عنها اختارت الله ورسوله ، فليس هناك وجه للمقارنة بين أي عرَض في هذه الدنيا وبين الله ورسوله، أيّ فتاة تلك وقد كان عمرها آنذاك عشرين سنة، لكنها سبقت كثيرا منا في هذه الأيام من ذوي الأعمار والسنين الطوال، إنها تقرر

وتتخذ قرار نفسها بنفسها فلا مكان للتردد وقد خيرها رسول الله ﷺ ، وحينما يسألها أبوها تثبت على اختيارها، فيا لها من فتاة!

إنها دعوة لكل الفتيات، ولكل المسلمين والمسلمات أن نتخذ من أمنا جويرية مثلا وقدوة.. أن نتخذ من قولها "**اخترت الله ورسوله** " شعارا لنا في حياتنا ، أن نرتب أولوياتنا ونختار الاختيار الصحيح ، فما أجمل الحياة حينما يكون الله ورسوله أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا والناس أجمعين، وما أهنأها حين يكون رصيدنا فيها هو أن نختار الله ورسوله إذا تعارضت الغايات وكثرت الحاجات وتزينت الدنيا وتزخرفت "**وظن أهلها أنهم قادرون عليها**"، وعندها سيكون لإيماننا طعم آخر نشعره ونتذوقه، ألم يقل النبي ﷺ:"**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان** :أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" [1] .

ألا فلينظر كلّ منا مكانه مما اختاره الله ورسوله لنا من الهدى والشرع والدين، ولينظر كل منا إلى حاله من أوامر الله ورسوله، ولينظر كل منا موقفه من محارم الله، وليقل بصدق مخلصا من قلبه مؤكدا بعمله "**اخترت الله ورسوله**".

---

(1) رواه البخاري .

هذه هي
أمنا جويرية
رضي الله عنها

أم المؤمنين، وزوجة نبينا في الجنة، كانت صوامة قوامة، وكانت تحب الخلوة في مسجدها ولا سيما بعد صلاة الصبح.

خرج النبي ﷺ من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: **"ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟"** قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: **"لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته"** (1) .

وقد روت لنا جويرية هذا الحديث عن النبي ﷺ بلاغا وأداء لأمانة التبليغ، حتى ينفعنا الله به كما نفعها.

توفيت أمّنا جويرية رضي الله عنها سنة 56 هـ وهي بنت خمس وستين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

❀ ❀ ❀

(1) رواه مسلم.

مَيْمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها
البعير وما عليه لله ولرسوله..

إنها خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس، وآخر زوجات النبي ﷺ ، وآخر من مات منهن. وهي مثال طيب يُقتدَى به في المسارعة إلى طاعة النبي ﷺ.

هي إحدى الأخوات التي وصفهن رسول الله ﷺ بالأخوات المؤمنات، فشقيقتها أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب أول امرأة آمنت بعد خديجة رضي الله عنها ، وأخواتها لأمها زينب بنت خزيمة أم المؤمنين، وسلمى بنت عميس زوج حمزة بن أبي طالب، وأسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب، أمهن جميعا هند بنت عوف بن زهير بن الحارث التي كان يقال فيها إنها أكرم عجوز أصهارا في الأرض، فأصهارها أبو بكر الصديق، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

أمّ المؤمنين

إنها أمّنا وأمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير العامرية الهلالية رضي الله عنها ، وقد ولدت بمكة قبل البعثة بست سنوات.

صارت أمّا للمؤمنين بعد أن تزوجها النبي ﷺ في السنة السابعة للهجرة وأصدقها أربعمائة درهم، وكانت من قبل تحت مسعود بن عمرو الثقفي، ثم تحت أبي رهم بن عبد العزى.

وقد خطبها النبي ﷺ وبنى بها بعد أن تحلل من عمرته على الصحيح من أقوال المحدثين وأصحاب السير، وكانت أرملة في السادسة والعشرين من عمرها.

وفي (**سَرف**) قرب التنعيم بنى بها النبي ﷺ في ذي القعدة من سنة سبع، ثم انصرف بها راجعا إلى المدينة.

البعير وما عليه لله ورسوله ﷺ

لقد ضربت لنا أمنا ميمونة المثل في طاعة الله ورسوله دون تردد أو تلكؤ، فما أن علمت أن رسول الله ﷺ يريد الزواج منها إلا وسارعت بالامتثال لما يحب، وتلك والله كرامة لها إذ تكون زوجة للنبي ﷺ ، فكانت بحسن طاعتها وسرعة استجابتها أهلا لتلك الكرامة. ويروى أن النبي ﷺ بعث

إليها جعفرا ﷺ ليخطبهـا، فلـما انتهـت إليهـا خِطبـة النبـيﷺ ، وكانت على بعيرها قالت: **"البعير وما عليه لله ولرسوله"**. ومن ثَم قيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبيﷺ.

وقال السهيلي: "لما جاءها الخاطب بالبشرى وكانت على بعـير، رمت نفسها من على البعير وقالت: البعير وما عليه لرسول اللهﷺ.

إنه تمام التسليم لله ورسوله، تُوِّجَتْ بعده ميمونة تـاج الكرامـة بانضمامها إلى أمهات المؤمنين. كما أن في ذلك رسالة لبناتنا ونسائنا بل لنا جميعا، أن يكون هوانـا تبعـا لمـا يحـب رسـول اللهﷺ ، وأن يكون حبنا لله ورسوله فوق أي حب كما قال النبيﷺ: **"لا يـؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعـين"**[1] ، ألم تقل له زوجـه عائـشة رضي الله عنها : **"إني أحـب قربـك لكنـي أوثـر هواك"**.. هذا هو الحب بعينه، أن تؤثر هوى المحبوب على هـواك، وأن تحب ما يحب هو، لا ما تحب أنت.

وهذا التسليم يجب أن يشمل كل أمور حياتنا صغيرها وكبيرها، فالذي لا يحافظ على صلواته وواجباتـه لم يـسلم لله ورسـوله تمـام التسليم، ومن لا يحسن خلقه مع الناس فإنه يناقض حبـه لرسـول اللهﷺ الذي دعا لحسن الخلق وجعله علامـة لحبـه والقـرب منـه

---

(1) رواه مسلم .

فقال: **"إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا "** (1) ، ومَن لا تستر جسدها باللباس الشرعي الذي لا يصف ولا يشف فإن عملها يخالف ما تدّعي من حب الله ورسوله ، وقد حذرنا نبينا **"أن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"** (2) ، ومَن يهجر القرآن تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا وتحاكما وتحكيما واستشفاء فإنه لم يسمع ولم يطع لله ورسوله، ومَن لا يسارع في الخيرات ويتأخر في السماع، وإن سمع تأخر في الاستجابة والطاعة لم يتم تسليمه لله ورسوله.

وقد علمنا نبيناﷺ أن نقول: "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" وبيّن الله تعالى أن السماع النافع إنما يتبعه العمل فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: 51،52].

فهلا تعلمنا من أمنا ميمونة حسن الطاعة وسرعة الاستجابة، وهلا جعلنا من قولتها **"البعير وما عليه لله ورسوله"** شعارا لنا يذكّرنا بذلك؟.

---

(1) رواه الترمذي .

(2) صححه الألباني .

برّة .. أمْ ميمونة

حين تزوج النبيﷺ من ميمونة كان اسمها (بـرّة)، فغير اسمها وسماها ميمونة لأن زواجه منهـا كـان في عمرة القضاء، وهو وقت يُمن وبركة على المسلمين، إذ دخلوا مكـة محلقـين رءوسـهم ومقـصرين، لا يخافون إلا الله. روى أبو هريرة رضي الله عنه: **"كـان اسـم ميمونة برة فسماها النبيﷺ ميمونة"**[(1)] .

وهو اسم له دلالة ومعنى ومناسـبة كـما رأينـا. لم تعترض ميمونة على تغيير اسمها فقد أسـلمت كلهـا لله ورسـوله، أسلمت قلبها وجسدها بل واسمها.

ومن هنا فإن للمسلم أن يغير اسما فيه تزكية أو صفة غير طيبـة أو معنى قبيح أو مكروه يسيء إلى صاحبه، فيغيره إلى اسم حـسن، وقد كان النبيﷺ إذا سمع اسما غير مناسـب غـيره، وفي صـحيح ماجه **"أن زينب كان اسمها بـرة فقيـل لهـا تزكّـي نفـسها فـسماها رسول اللهﷺ زينب"** [(2)] . وروت زينـب بنـت أبي سـلمة: **"كـان اسمي برة. فسماني رسول اللهﷺ زينب. قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش، واسمها برة. فسماها زينب"** [(3)] .

---

(1) رواه الألباني .. السلسلة الصحيحة .

(2) صححه الألباني .

(3) رواه مسلم .

و"غيّر اسم عاصية وقال: أنت جميلة"[1]. و"كان رسول الله ﷺ إذا سأل عن اسم الرجل وكان حسنا عـرف ذلـك في وجهـه وإن كان غير ذلك كرهه..." [2] ، وقـد روى سـعيد بـن المسيب (أن جده حزنا قدم على النبي ﷺ فقال: "مـا اسـمك؟". قـال: اسـمي حزن، قال: "بل أنت سهل". قال: ما أنا بمغيّر اسما سمّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد) [3].

تسليم لله ورسوله حتى الموت..

كـان محـل زواج ميمونـة وتتويجهـا أمّـا للمـؤمنين بسرف، وكان محل موتها ودفنها أيضا بعد ذلك، فإنـه ﷺ أخبرها أنها لا تموت بمكة، فلما ثقل عليها المرض وهي بمكة، قالت: أخرجوني مـن مكـة فـإني لا أموت بها، فـإن رسـول الله ﷺ أخـبرني بـذلك، فحملوها حتى أتـوا ذلـك الموضـع، فماتـت بـه ودفنت به.

إنه تسليم حتى الموت، وطاعة لرسول الله ﷺ حتى آخر سـاعة في حياتها، أحبته بصدق وإخـلاص حـب المؤمنـة لنبيهـا، وحـب الزوجة لزوجها، فآثرت رضاه على رضا نفسها وهواه على هواها.

---

(1) رواه الألباني .. صحيح الأدب المفرد .

(2) رواه الهيثمى – مجمع الزوائد .

(3) رواه البخاري .

جاء في الصحيحين: **"أنهﷺ كان في بيتها حين اشتد بـه الوجـع في مرض الموت، فرضيت أن ينتقل ليمـرض حيـث أحـب، في بيـت عائشة".**

آخر زوجات النبي ﷺ..

كانت أمّنا ميمونة رضي الله عنها آخر امرأة تزوجها رسول اللهﷺ ، كما أنها كانت آخر من مات من زوجاته رضي الله عنهن. استمعت إليه بإنصات، وامتثلت أمر ربها فذكرت ما سمعت، وروت عن رسولهﷺ ستة وأربعين حديثا، رغم قصر المدة التي قضتها معه.

قالت عنها عائشة رضي الله عنها : **(كانت والله من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم).**

ماتت وهي بنت سبعين سنة، رضي الله عنها وأرضاها، وجمعنا بها في جنات النعيم.

وأخيرا .. فلتعلم

أن نبينا محمداﷺ كان له أزواج ، منهن من دخل بها ، ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ، ومنهن من خطبها فلم يتم نكاحه معها، وأما عددهن فقد اختلفوا فيه كثيرا والذي صح من غير خلاف أن مَن بنى بهن النبيﷺ إحدى عشرة امرأة.

فخديجة بنت خويلد أولى زوجاته وهي الكاملة الطاهرة، والثانية سودة بنت زمعة التي تبتغي رضا رسول اللهﷺ ، والثالثة عائشة بنت أبي بكر الصدّيقة بنت الصدّيق **"وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"** [(1)]، والرابعة حفصة بنت عمر العابدة الصوامة القوامة الأمينة على كتاب الله، والخامسة أم سلمة الزوجة الحكيمة ذات الرأي الصائب والعقل الراجح والمشورة الصادقة، والسادسة جويرية بنت الحارث التي اختارت الله ورسوله، والسابعة زينب بنت جحش الشريفة الكريمة طويلة اليد الورعة، والثامنة زينب بنت خزيمة صديقة الصدقة ومُحبة الإحسان والمساكين، والتاسعة أم حبيبة الغريبة الصابرة الثابتة على الحق، والعاشرة صفية بنت حيي التي تحب الله ورسوله، وأما

---

(1) رواه البخاري .

الحادية عشرة فإنها ميمونة التي جعلت بعيرها وما عليه لله ورسوله، ولم يكن منهن بكرا سوى عائشة رضي الله عنها.

عاشت زوجات النبي ﷺ حياتهن تقيات ورعات، لم تترك الواحدة منهن لنفسها العنان دون لجام من التقوى تلجمها به وهي مَن تعيش في البيت النبوي، ولم تسمح إحداهن لنفسها أن تعيث فيه الفساد بالغيرة المفرطة أو الغيبة والنميمة أو الحقد والحسد والشحناء والضغائن، كما يفعل بعض الضرائر هداهن الله، ولم تنكث واحدة منهن عهدها بعد موت رسول الله ﷺ.

فزوجات النبي ﷺ هن المسلمات المؤمنات القانتات الصادقات الصابرات الخاشعات المتصدقات الصائمات الحافظات فروجهن الذاكرات الله كثيرا، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:35]

ألا فلتقطع ألسنة السوء التي تتطاول على أي واحدة منهن، فإنهن أمهاتنا ولا نرضى أن يُتهمن أو يُتحدث عنهن، أو تُلاكُ

سيرتهن في أفواه المغرضين سبّا وشتما وقذفا وإيذاء.

ورغم كيد الكائدين، فهن جميعا زوجات النبيﷺ في الجنة، رضي الله عنهن أجمعين، وجمعنا بهن مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المراجع

- تفسير القرطبي - تفسير ابن كثير- تفسير الطبري- تفسير الجلالين.
- عودة الحجاب .. الجزء الثاني - جمع وترتيب محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم..
- عظماء الإسلام .. محمد سعيد مرسي..
- تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن- الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن (**بنت الشاطىء**).
- صور من سير الصحابيات تأليف عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني..
- مؤمنات لهن عند الله شأن.. تأليف الدكتور محمد بكر إسماعيل..
- سير أعلام النبلاء للإمام الذَّهبي.. المجلد الثاني.
- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين - عبد الرحمن بن محمد.
- فقه السيرة – الشيخ محمد الغزالي- الطبعة السابعة، دار الكتب الحديثة.
- موقع الدرر السنية – الموسوعة الحديثية.
- موقع المحدث.
- موقع الإسلام دوت كوم.

الفهرس